جامعة غليزان

كلية الأداب و اللغات

قسم اللغة العربية

محاضرات في التداولية

أد.ناعوس بن يحيى

مقدمة :

لاشك بأن البحوث اللسانية أضحت تشكل بحثا علميا مهما لأنه ولج جميع الميادين، و المقاربة اللسانية وتظهر أهمية البحث على أن أنجع طريقة في تعليم اللغة للناطقين بها أو بغيرها من استثمار نظرية تحليل الخطاب في اكتساب اللغة في الممارسة الفعلية والتحليلية لمفردات اللغة المستهدفة في شتى مجالات الحياة، وخاصة جانب التعامل مع الخطاب التواصلي، لأن لب العملية التعليمة ينحصر في تفكيك الخطاب ومعرفة شفرات الرسالة التواصلية أثناء عملية التخاطب وضبطها لكيلا ينزلق المتلقي في متاهات تبعده عن سياق المنظومة القيمية للمجتمع الإنساني بهذا المعنى ستكون التداولية دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية أي الحوارية والتواصلية.

تمهيد و تعريف:

نشير إلى أن مصطلح براجماتية يطلق على العلم الذي يهتم بعلاقة اللغة بمستخدميها، ويهدف إلى وضع قوانين للحوار، مدخلاً في الاعتبار المقام [1]الذي تنتج فيه اللغة، فإذا كانت اللسانيات تهتم بالجمل، فإن التداولية تهتم بالملفوظات بالدرجة الأولى، وتبحث في الوسيلة التي تنفذ بها اللغة في مختلف المقامات الحوارية.

اللغة أثناء الأشتغال–

أثناء العملية التواصلية بين الأنا(المتكلم أو الملقي المحرك الأساسي لعملية التواصلية).

الأنت(المستمع المحرك الثاني للعملية التواصلية)

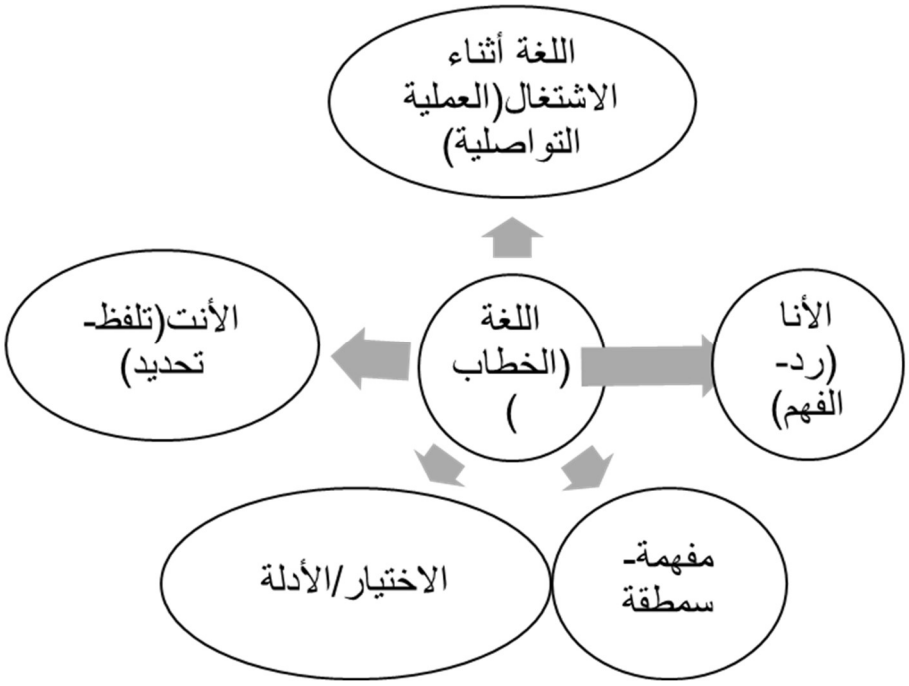

المحاضرة الخامسة:نظرية أفعال الكلام عند أوستين

إن أفعال الكلام كما يراها جون أوستين هو كيف ننجز الأفعال بالكلام هو عبارة عن محاضرات كان يلقيها على طلبته في جامعة هارفرد و تأتي أهمية النظرية في كونها غيرت النظرة التقليدية لكلام

جاءت نظرية أفعال الكلام للفيلسوف الإنجليزى جون أوستن لتجسد موقفا مضادا للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعى الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة من سياق خطابها اللغوى المؤسساتى إضافة إلى ما وصفه أوستن بالاستحواذ أو التسلط المنطقى القائل بأن الجملة الخبرية هى الجملة المعيارية، وما عداها من أنماط مختلفة للجملة هى مجرد أشكال متفرعة عنها.

يميز أوستن فى كتابه المنشور عقب وفاته" How to Do Things with Words 1962 كيف تنجز الأشياء بالكلمات" بين الاستخدام الاعتيادى للغة normal use of language وبين استخدام آخر يصفه بالتطفل Parasitic use ويعنى بالتطفل هنا التطفل على الاستخدام الاعتيادى للغة ويمثل أوستن للاستعمال المتطفل بالكتابة الشعرية والروائية والمسرحية. وهو تمييز يقتضى أوستن التفريق من خلاله بين استخدامين أطلقت عليهما تسميات عدة نشملها هنا للإيضاح: (جاد/غيرجاد-Serious & Non serious)، (اعتيادي/غير اعتيادي(Normal & Abnormal)، (أولي/ثانوى Primary & Secondary).

يرى أوستن أن الأقوال اللغوية تعكس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر منها أقوالاً يتعاورها مفهوما الصدق والكذب الدارجة بين الفلاسفة الذين درسوا المعنى فى إطار ما عرف بالمعنى القضوى Propositional meaning للجملة التقريرية الخبرية وهى الجملة التى يمكننا الحكم عليها قضويا بالصدق أو الكذب. وقدم أوستن أمثلة يوضح فيها أنه ليست كل الجمل جملا خبرية، وبّين كيف أن اللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعدا أو تصريحا أو زواجا او تعميدا أو طلاقا أو رهانا أو مقايضة إلى غير ذلك من الأفعال التى يقترن القول فيها بإنجاز الفعل. وقد عمد فى البداية الى التمييز بين نوعين من الأقوال أسماها بالأقوال الإنجازية Performative locutions مميزا لها عن النوع الثانى الذى أطلق عليه الأقوال التقريرية ..Constative locutions وكان أوستن يريد تأكيد أن كثيرا من الجمل والعبارات التى يشملها الحديث ليست خبرية ولا تخضع لمفهوم الصدق والكذب، فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجب وأوامر وتعابير خاصة بالأمنيات والتطلعات وعبارات الترهيب والترغيب والتشجيع من مثل: "معذرة"Excuse me ، "مرحي، أحسنت"!Well done! Bravo ، "مرحبا !welcome "أى الكتب تفضل"?Which book you like most، "أى ضرر فى المحاولة "where !Hello"

is the harm in trying?، "افعل ما تحب .what you please Do" غير أنه سرعان ما تبين لاحقا عدم دقة هذا التمييز ذلك لأن الأقوال التقريرية غالبا ما تعمل هى الأخرى على إنجاز فعل الإخبار.

وقد حاول أوستن فيما كان يعمل على إرهاف تمييزاته بين أنواع الأقوال المختلفة أن يلفت الانتباه الى الأقوال التى يفضى التلفظ بالفعل فيها (داخل سياق عرفى مكتمل الشروط) الى الإفصاح عن حالة النشاط التى تدل عليه من مثل: "اعتذر"I apologize، أو "أسمّى هذه السفينة الهولندى الطائرI name this ship the"، Flying Dutchmanأو "أعلن افتتاح الجلسة."I declare this meeting open

وقد اعتبر أوستن أن بعض استخدامات اللغة فى أغراض محددة مثل الحجاج والتحذير أقرب للتعبير الإنجازى منها فى أغراض الإقناع والتحريض والتنبيه. كما أنه أشار الى إمكانية فشل الأقوال الإنجازية وعدم تحققها مستخدما حيالها معيارا مختلفا عن معيار الصدق والكذب فهى إما أن تكون موفّقة Felicitous بمعنى أنها موافقة لمقتضى الحال ولذلك غالبا ما تتم المزاوجة بين التعبير felicitous والتعبيرhappy ، وإما أن تكون غير موفقة infelicitousأو .unhappy وقد وضع أوستن شروطا لتحقق الأقوال الإنجازية Felicity Conditions، نذكرها هنا:

-1أن يكون هناك طقس عرفى مقبول وأن يكون له تأثيره العرفى أيضا. ثم أن يشتمل الطقس أو الأسلوب العرفى على التلفظ بكلمات محددة من قبل أشخاص محددين فى ظروف محددة.

-2أن يكون الأشخاص المحددون وكذلك الظروف مناسبة لتنفيذ الطقس العرفى المحدد.

-3أن يتم تنفيذ الطقس العرفى على نحو صحيح من قبل جميع المشاركين فيه.

-4أن ينفذ الطقس كاملا.

وقد أضاف أوستن الى هذه الشروط شرطا آخر وهو شرط الصدق.Sincerity، أى أن تتوفر للمشاركين المشاعر والأفكار والنوايا الأساسية التى يقتضيها الطقس العرفى علاوة على دوام واستمرار تمسك المشاركين بالسلوك العرفي.

ويرى أوستن أنه إذا لم يكن فعل الكلام موفقا بسبب عدم تحقق الشرط الأول أو الثانى المذكورين سابقا فإنه يمكن وصف فعل الكلام هنا بأنه كاب أو طائش .Misfire وهكذا فإن إعادة تسميتك لكل سفينة تدخل ميناء دبلن يعد فعلا كابيا أو طائشا لعدم تحقق الشرط، أو طائشا لعدم تحقق الشرط الثانى فلا الشخص المحدد مناسب ولا الظرف أيضا. وأما إذا انتفى تحقق الصدق فى إنجاز الفعل فإنه يمكننا وصف الأمر هنا بسوء استخدام فعل

الكلامabuse ، ومثال ذلك قولك: أراهن I bet...دون أن تنوى الدفع، أو قولك: أعد I promise فى حين انك عازم على عدم الإيفاء بوعدك.

يؤكد أوستن أننا حين نتلفظ بقول ما نقوم بثلاثة أفعال:

-1فعل التلفظ Locutionary Act ويقصد بذلك الأصوات التى يخرجها المتكلم والتى تمثل قولا ذا معني.

-2فعل قوة التلفظ Illocutionary Act ويقصد بذلك أن المتكلم حين يتلفظ بقول ما فهو ينجز معنى قصديا Speakrs inention أو تأثيرا مقصودا intended effect وهو ما أسماه أوستن بقوة الفعل force، وقد اشترط أوستن لتحقق هذا المعنى الإنجازى ضرورة توفر السياق العرفى المؤسساتى لغة ومحيطا واشخاصا. فعبارة من مثل I will come to see you tomorrowسأحضر لرؤيتك غدا، يعتمد معناها الإنجازى – الوعد هنا – على مدى تحقق شروطها بحيث يكون المتكلم قادرا على الإيفاء بوعده، وأن ينوى فعل ذلك وأن يكون واثقا من أن المستمع يرغب فى رؤيته، ذلك لأن انتفاء رغبة المستمع فى رؤية المتكلم قد يحيل المعنى الإنجازى هنا من "وعد" الى "وعيد."

-3فعل أثر التلفظ Perlocutionary Act ويعنى بذلك أن الكلمات التى ينتجها المتكلم فى بنية نحوية منتظمة محملة بمقاصد معينة فى سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة وتحدث أثرا عند المتلقى أو المستمع acheived effect، وإذا كان المثال السابق قد أفاد معناه الإنجازى –الوعد – فإننا هنا لسنا بإزاء فهم الرسالة المنجزة فحسب بل نحن هنا فى حالة من التهيؤ والانتظار استتبعتها قوة القول عبر المعنى الإنجازى – الوعد.

المحاضرة السادسة:نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل

نظرية جون سيرل

وقد عمل الفيلسوف الأمريكى جون سيرل على تطوير نظرية أفعال الكلام لأوستن دامجا تحليلات قرايس المتعلقة بمقاصد المتكلم ودراسة المعنى والتى عارض قرايس من خلالها المفهوم الشكلانى الأرثوذكسى فى نظرية الدلالة القائل بأن المعنى العام المتعارف عليه للكلمة يحدد أيا من المعانى التى يمكن ان تستبعها الكلمة فى استخداماتها المختلفة.
يرى قرايس أن معنى الكلمة يشتق من وراء قصد المتكلم للنطق بتلك الكلمة فهو يؤكد أن ما يعنيه متكلم أو كاتب ما بعلامة ما... فى مناسبة ما قد ينحرف عن المعنى القياسى لتلك العلامة
استفاد سيرل أيضا من مفهوم المعنى العام Type والمعنى السياقى Token كما وظفهما قرايس وقدم طرحه وتفسيره الخاص لكثير من مقولات هذه النظرية نعرض لها بإيجاز.

يرى سيرل فى كتابه "أفعال الكلام "Speech Acts 1969 أننا نقوم بأربعة أفعال حين ننطق بجملة أو نتلفظ بقول ما:
-1التلفظ بالكلمات (جملا ومورفيمات) أى إنجاز فعل التلفظ.
-2الإحالة والإسناد أى إنجاز فعل القضية أو الجملة.
-3التقرير، السؤال، الأمر، الوعد أى إنجاز فعل قوة التلفظ ثم يقول لكننى أريد أن أضيف الى هذه المفاهيم الثلاثة المفهوم الذى قدمه أوستن أى فعل أثر التلفظ Perloctionary act وهو المفهوم الذى يتلازم مع مفهوم فعل قوة التلفظ والذى يجسد النتائج والتأثيرات التى تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار وأفعال ومعتقدات المستمع، فبالحجاج مثلا يمكننى أن أقنع شخصا ما، وبالإنذار يمكننى أن أخيفه أو أنبهه، وبالطلب يمكننى أن أجعله يعمل شيئا ما، وبإعلامى له يمكننى أن أقنعه، أنوره، أثقفه، أوحى له "أجعله يدرك" الأفعال التى تحتها خط تشير الى فعل أثر التلفظ (سيرل 1969).

ويقدم سيرل أسوة بأوستن عددا من الشروط يتجاوز فيها قصور الشروط التى قدمها أوستن. يضع سيرل تسعة شروط ضافية تحكم الاتصال الإنجازى نعرض لها بإيجاز.
-1شروط المدخل والمخرج الاعتيادية Normal input and output conditions ويفترض سيرل أن يكون الاتصال صريحا وجادا وأن يتم بين مرسل ومتلق يشترط لهما توفر القدرة على الإتصال فيما بينهما عضويا ونفسيا.

2-3شرط المحتوى القضوىPropositional Content Conditions

2-ينبغى أن يعبر فعل التلفظ عن قضية

3-أن تسند القضية الى المتكلم فعلا مستقبليا

4-5شروط تمهيديةPreparatory conditions

4-أن يفترض المتكلم أن المستمع يريد أن يقوم بالفعل وأن يصدق افتراض المتكلم بحيث يكون المستمع راغبا فعلا فى ذلك.

5-أن يكون أمر إنجاز الفعل من قبل المتكلم غير واضح لدى المتكلم والمستمع.

6-شرط الصدق The Sincerity Condition أن ينوى المتكلم إنجاز الفعل الذى تسنده له القضية المصرح بها.

7-الشرط الأساسى The Essential Condition أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ..

8-شرط المعنى غير الطبيعى The non-natural meaning condition أن يقصد المتكلم أن يدرك المستمع أن المتكلم ملزم بالقيام بالفعل من خلال تلفظه. وأن يكون هذا الإدراك من قبل المستمع قائم على معرفة المستمع بمعنى تلفظ المتكلم.

9-الشرط التعريفى The defining condition لا يكون تلفظ المتكلم صحيحا ولا وعده صادقا ما لم تستوفى الشروط من 1 - 8.

هذا وقد حاول سيرل أن يحصر أفعال الكلام فى اللغة عبر تصنيفه لها فى خمسة أنماط رئيسة Categorizing Speech Acts.

1-أفعال تمثيلية Representatives وهى الأفعال التى تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها ومن أمثلتها أفعال التقرير والإستنتاج.

2-أفعال توجيهية Directivesوهى الأفعال التى تمثل محاولات المتكلم لتوجيه المستمع للقيام بعمل ما ومن أمثلتها أفعال الطلب والسؤال.

3-أفعال التزامية Commisives وهى الأفعال التى تلزم المتكلم بالنهوض بسلسلة من الأفعال المستقبلية ومن أمثلتها أفعال العرض والوعد والوعيد

4-أفعال تعبيرية Expressives وهى الأفعال التى تعبر عن حالة نفسية المتكلم ومن أمثلتها الشكر والاعتذار والترحيب والتهنئة.

-5أفعال إعلانية Declaratives وهى الأفعال التى تحدث تغيرات فورية فى نمط الأحداث العرفية التى غالبا ما تعتمد على طقوس اجتماعية فولغوية تتسم بالإطالة ومن أمثلتها أفعال الحرمان الكنسى وإعلان الحرب وطقوس التنصير والزواج وأفعال الطرد والإقالة من العمل.

أكد سيرل وجود أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة فى خطوة منه لتفادى طبيعة التعابير اللغوية المتداخلة والمتبادلة مشيرا الى أننا فى السؤال التالى ?Can you open the door هل يمكنك ان تفتح الباب؟ ننجز طلبا غير مباشر والواقع ان العلاقة بين الطلب والسؤال قريبة بعض الشيء لكن ترى كيف يمكن لنا أن نفسر فهم المضيف لقول ضيفه الإخبارى التقريرى It is too hot today الجو حار جدا اليوم – بأن يسارع بفتح نافذة الغرفة. نحن هنا إزاء طلب غير مباشر أيضا وماذا ستفعل نظرية أفعال الكلام إزاء كثير من الأعراف اللغوية المختلفة فى اللغات.

ظاهرة الالتفات فى العربية

كيف لنظرية أفعال الكلام أن تفسر ظاهرة الالتفاتApostroph ژ فى العربية وانصراف المتكلم عن الإخبار بالمخاطبة وذلك من حيث تقسيمها للأفعال إنجازية وتقريرية، وكيف لها أن تفسر قضويا اسلوب المدح بما يشبه الذم من مثل قول القائل: فتى كملت أخلاقه غير أنه.. جواد فما يبقى من المال باقيا (البديع–ابن المعتز62) ثم كيف لها أن تفسر إنجازيا force كون الشيء من الأفعال سببا لضده كقولهم أحسن من حيث قصد الإساءة ، و نفع من حيث أراد الضر (أسرار البلاغة، الجرجاني،142)، أو ما يرد فى باب تسمية المتضادين باسم واحد مثل الصريم (الليل والنهار)، والسدفة (الضوء والظلمة)، والجلل (الكبير والصغير)، والناهل (العطشان والريان) (الكتاب، ابن قتيبة،178) الى غير ذلك من الأمثلة التطبيقية التى ربما يكون الدرس اللسانى البرقماتى أنجع فى تناولها ومعالجتها.

النقد الموجه لنظرية أفعال الكلام

تعتبر نظرية أفعال الكلام من بين أولى النظريات التى حاولت بحث العلاقة بين الفعل والإيصال إلا أنها واجهت نقدا واسعا خاصة لمعجمها الإصطلاحى ولكونها أيضا قصرت تمييزها بين أفعال التلفظ الثلاثة على النتاج اللغوى فحسب فى حين أن مفهوم السياق العرفى المؤسساتى وهو المفهوم المركزى لهذه النظرية يقتضى اشتمالها لأنظمة التواصل والإشارات عامة اللغوى منها وغير اللغوي. ويظل مفهوم العرف مفهوما غائما فنحن لا نعرف إلى أى مدى تعتبر قوة القول Force او فعل قوة التلفظ مسألة عرفية وهل هى قصدية أم أنها مرتبطة بإحداث أثر ما. وهل يمكننا اعتبارها سلوكا صريحا أم أنها مجرد سياق. لقد ظل هذا المفهوم مثار تساؤل لدى كثير من دارسى هذه

النظرية، ولهذا السبب صرح أوستن فى كتابه "كيف تنجز الأسياء بالكلمات قائلا: إنه من الصعب أن تحدد أين يبدأ العرف وأين ينتهي. . كما يوجه النقد غالبا لنظرية أفعال الكلام عند كل من أوستن وسيرل لكونهما انشغلا بالتقديم والعرض لنموذج أحادى فى تناولهما لأفعال الإيصال كما فعل سيرل مع فعل "الوعد؛ على سبيل المثال ولم تتناول نظريتهما الإيصال ككل متداخل ذلك أن أفعال الاتصال نادرا ما تنجز فى عزلة عن بعضها البعض. ويحبذ كثير من الفلاسفة واللغويين المعنيين بدراسة هذه النظرية أن تحرص فى عرضها وتفسيرها للإيصال على تبنى مفهوم واسع يحاكى المفهوم الشامل الذى طرحه فتجنشتاين، وهو ألعاب اللغة Language Games فى كتابة "أبحاث فلسفية" 1953، والذى يقول فيه بأن معانى الكلمات فضفاضة تتحد مع استخداماتها المختلفة والخاصة بألعاب اللغة. ويرى فتجنشتاين أن الاعتقاد بأن اللغة يمكن أن تأسر الواقع ضرب من الخداع والسحر. ويشكك البعض فى أصالة طرح أوستن ناسبين مفهوم فعل التلفظ Locutionary Act وفعل قوة التلفظ Illocutionary Actإلى مفهومى فتجنشتاين "Sentence-Radical" و."Modal Element"

وقد انتقد اللسانى المعروف جيفرى ليتش نظرية أفعال الكلام معيبا عليها فى الأساس خلطها بين الفعل النحوى أو الفعل الوظيفى وبين الفعل الإنجازى ثم إنه ربط لاحقا فى طرحه لمفهوم التأدب Politness نوعين من الأفعال الإنجازية التى صنفها سيرل وهى الأفعال التوجيهية والأفعال الالتزامية بالأهداف التنافسية فى مبدأ اللباقة Tact maximمشيرا إلى أنه كلما كانت قوة القول غير مباشرة كلما كانت أكثر تأدبا.
هذا وقد أشار دريدا الى وجود أخطاء فادحة فى نظرية أفعال الكلام فهو يرى أن كل العلامات بما فى ذلك أفعال الكلام مكررة، ولأنها يمكن أن تكرر أو تقتبس كان من الممكن اقتباسها خارج سياقها بل واقتباسها على نحو خاطئ. ويمضى دريدا مؤكدا أن القصد فى أفعال الكلام شيء يستحيل معرفته والجزم به، وأن أثر التلفظ لقول ما لا يمكن التنبؤ به وهو يسمى هذه الظاهرة بالتفتح الشبيه بانفلاق النبات وانتشار البذور.Dehiscence

وإذا كان أوستن يزعم أن أفعال الكلام التى تقال على خشبة المسرح فى قصيدة ما هى أفعال تتطفل على أفعال الكلام الاعتيادية فإن دريدا يرى أن أفعال الكلام اليومية هى مجرد مجتمعات وشركات محدودة قابلة لأن تقوض كل أنواع الأقوال التطفلية كما يراها أوستن بما فى ذلك مشاعر اللاوعى والدوافع والنزوات وغيرها.
وفى تصورى الشخصى أن هذه النظرية ذات قيمة كبيرة خاصة فى تركيزها على السياق العرفى والمحيط وعلاقات الأشخاص وهو الأمر الذى حد من سلطة وأحادية المنظور التقليدى المرتكز على الجملة الخبرية فى دراسة المعنى لكنها وقعت هى الأخرى فى مأزق الأحادية حين اتخذت من البنية الصوتية فى معالجتها لفعل التلفظ نموذجا معياريا همشت معه دور بقية الأبنية الرمزية الأخرى وهو الأمر الذى سينبرى دريدا لنقده وتقويضه فى الثقافة الغربية

كلها.

ويمكن التذكير فى ختام هذه النبذة الموجزة عن نظرية افعال الكلام بأن دور التنظير والبحث الفلسفى فى خصوص اللغة وخاصة مبحث المعنى قد تطور بتطور اللسانيات ذاتها ولم يعد مبحث المعنى تابعا لأطروحات الفلاسفة والمناطقة فقد اصبح هذا الاهتمام جزءا هاما من الدراسات اللسانية البراغماتية.

المحاضرة السابعة: متضمنات القول

تمهيد: الحذف ظاهرة من الظواهر اللغوية ،و يمكن الوقوف عليها في كل اللغات الإنسانية،بل حتى اللهجات ، وحضوره في اللغة العربية جلي و قوي في تراكيبها الإسنادية ، والسبب يعزى إلى أنه من خصائصا التركيبية الميل إلى الإيجاز و الاختصار ،و الحذف ضرب من أضرب تلك الظاهر اللغوية ،و قد يؤدي من الدلالات ما يؤديه الذكر والاتساع في القول .

و قد تحدث عن عبد القاهر الجرجاني (741هـ)عن الحذف ،فقال :"هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ،عجيب الأمر شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر ، وأفصح من الذكر ،و الصمت عن الإفادة ،أزيد من الإفادة ،و تجدك أنطق ما تكون إن لم تنطق ،و أتم بيانا ..." ،و بعد أن يقدم الجرجاني شواهد شعرية فبها حذف قدره يواصل و يقول :"فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرئها واحدا واحدا و انظر إلى موقعها في نفسك و إلى ما تجده من اللطف و الظرف إذ أنت مررت بموضع الحذف منها ثم قلبت النفس عما تجد و ألطف النظر فيما تحس به، ثم تكلفت أن ترد ما حذف الشاعر ،وأن تخرجه إلى لفظك و توقعه في سمعك ،فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ،وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد ، و قاعدة التجويد".

و عليه فالحذف في بعض المواضع أجود من الذكر ،بل أقوى منه ، وأحسن تعبيرا من المقصود ، وأجود كشفا عما يرمي إليه المتكلم ،فأحيانا الذكر "لا يناسب الغاية التي قصدها الشاعر لذلك لجأ إلى الحذف للإثارة ،و استحدأث الإستجابة العاطفية الذهبية "،فلا تعمد إلى الحذف لمجرد الحذف،بل هناك غاية و هدف من وراء ذلك ،و"لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ثم حذف بعد وجوده،و لكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطاب السياق الكلامي الاستعمالي "2، وقد اهتم به البلاغيون كثيرا ،و لم يغفل عنه التداوليون ،أما النحويون فقد تنبهوا له منذ منذ القرن الأول من الهجرة ،كل هذا لما يحمله من جمال فني و إبداعي ،و ما تنزاح إليه تلك القوالب اللغوية من دلالات و أغراض بلاغية ، وقد تعددت و تنوعت بحسب التكيب الذي ترد فيه ،فهز أسلوب لا يلجه إلا فرسان البلاغة –مثل ابن الأثير– ،و لا دخل في أن "الذي طرقوا بابه هم النحاة الذين عنوا بدراسته ،و بينوا مواضعه،إذ كانوا يذكرون اللفظ و يحذفونه حسبما يقتضيه السياق و المعنى".

قبل الاسترسال في موضوع الحذف ، ومقاماته ،و دلالاته البلاغية أو التداولية،نرى بأنه من الواجب التوقف على مفهوم هذا المصطلح ،و ما تداخل معه من مصطلحات أخرى.

الحذف لغة : جاء في الصحاح :حذف الشيء :وإسقاطه يقال حذفت من شعري و من ذنب الدابة أي أخذت...و حذفت رأسه بالسيف ،إذا ضربته فقطعت منه قطعة"[3]فالحذف هو الإسقاط ،و هو القطع.

ويضيف ابن منظور (711هـ)معنى الرمي و الضرب جانبا في قوله :"حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه،و الحجّام يحذف الشعر من ذلك ...و الحذف الرمي عن جانب و الضرب عن جانب "·

و اصطلاحا :الحذف عن الجاحظ هو "إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية،مع وجود دليل على المحذوف"[4]،و يقصد بالدليل القرينة لفظية كانت أو معنوية ،حتى يتسنى فهم الكلام و تقدير المحذوف دون أن يقع لبس في الكلام.

ويقول ابن هشام الأنصاري (761هـ) بأن الحذف "يلزم النحوي النظر فيه،و هو ما اقتضته الصناعة ،بأن يجد خبرا دون المبتدأ،أو العكس ،أو شرطا دون جزاء ،أو معطوفا دون المعطوف عليه،أو معمولا دو عامل "، فالحذف يكون في البنى التركيبية حيث يستطيع النحوي الوقوف على جزء المحذوف من الجمل ،و هذا أمر تفرضه و توجبه قواعد النحو و الصرف.

و من أشمل التعاريف التي و قفنا عليها للحذف عند التداولين نا قاله طاهر سليمان حمودة بأنها "ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى الحذف بعض العناصر المكررة في الكلام،أوإلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت أو عقلية أو لفظية"،فالحذف متعلق بجميع اللغات الطبيعية ،التي يسعى متكلّيموها إلى الاقتصاد و التخفيف من الكلام دون الإخلال بالمعنى المقصود اعتمادا على مجموعة من القرائن بعضها يتعلق بالجانب التركيبي (القرينة اللفظية)،و البعض الآخر متوقف على علم المخاطَب بالجزء المحذوف ،انطلاقا مما يوفره المقام و الظروف المحيطة أضف إلى ذلك المعرفة المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب (القرينة الحالية).

و يتدخل مصطلح الحذف حتى يوشك أن يتحد مع بعض المصطلحات الأخرى،و نرى لزم علينا في عجالة لضيق المقام عندها ،على بيان ذلك.

المحاضرة الثامنة:نظرية الإستلزام الحواري

الخصائص:

لنقل أولا بأنها تعد البعد الثالث من أبعاد السميائيات العامة التي عرفها شارل موريس، كما يلي:

1 – علاقة اللغة باللغة = علم التركيب (*Syntax*)

2 – علاقة اللغة بالواقع = علم الدلالة (*Semantics*)

3 – علاقة اللغة بمستخدميها = التداول (*Pragmatics*)

بهذا المعنى ستكون التداولية دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية أي الحوارية والتواصلية.

نشير إلى أن مصطلح براجماتية يطلق على العلم الذي يهتم بعلاقة اللغة بمستخدميها، ويهدف إلى وضع قوانين للحوار، مدخلاً في الاعتبار المقام [5]الذي تنتج فيه اللغة، فإذا كانت اللسانيات تهتم بالجمل، فإن التداولية تهتمبالملفوظات بالدرجة الأولى، وتبحث في الوسيلة التي تنفذ بها اللغة في مختلف المقامات الحوارية.

وإذا كانت اللسانيات تهتم بالإنتاجية اللغوية في مستواها الصوري (تفكيك الآلية الإبداعية في كفاية المتكلمين ومحاولة التعرف على البرنامج اللغوي من الداخل) فإن التداولية تهتم بمختلف الإسقاطات التأويلية التي يفرزها الأداء (التعبيرات). وإذا كانت اللسانيات تهتم بالمرجع وبالأدوات التي تنتج الخبر الثابت فإن التداولية تهتم بالأدوات التي تنتج القصد.

هكذا إذن سيكون مجال اللسانيات البحث في الكفاية اللغوية بينما يكون مجال التداولية البحث في الكفاية التواصلية. وإذا كانت اللسانيات تبحث في المرجع الثابت المؤدي إلى خبر ثابت أيضاً فإن التداولية تهتم بقصد المتكلم ودرجة اقتناعه بالمحتوى الخبري الذي تبلوره العملية التواصلية وتحكمه مقامات تلفظية متغيرة بطبيعتها.

وإذا كنا نحتاج في اللسانيات إلى تشغيل آليات الكفاية اللغوية الرمزية لتحديد الخبر في اللغة فإننا في مجال التداوليات نحتاج إلى توظيف آليات المكون البلاغي المعبر بشكل ثابت عن مرجع غير ثابت. وإذا كانت اللسانيات تهتم بالجملة في أقصىحدودها التوزيعية بوصفها الوحدة الأساسية في اللغة مقسمة إياها إلى مسند ومسند إليه، فإن التداولية تدخل في الاعتبار قضايا صوتية وتنغيمية تجعلها تتخذ الملفوظ منطلقها الأساسي في الدراسة وذلك على الشكل التالي:

---

[5] - تجب الإشارة إلى أننا نفرق بين المقام *Situationt* بوصفه مصطلحا تداوليا وبين السياق *Contex* الذي يعد مفهوما رياضيا أولا ولسانيا ثانيا، وشتان بين المفهومين.

ثانياً: النظرية الحجاجية: (تداولية
الدرجة الثانية)
ثالثاً: نظرية الأفعال الكلامية:
(تداولية الدرجة الثالثة)

المكون التداولي المكون البلاغي مسند مسند إليه
(القصد) (البيان)

وتنقسم التداولية إلى ثلاث درجات، هي:

1- تداولية الدرجة الأولى: النظرية التلفظية (*Enonciation*)

2- تداولية الدرجة الثانية: النظرية الحجاجية *(Argumentatiion)*

3- تداولية الدرجة الثالثة: نظرية الأفعال الكلامية *(Actes du langage)*

وقبل الحديث عن هذه الأنواع الثلاثة نتوقف عند نظرية قوانين الحوار لبول جرايس التي تعد أكثر انتشارا في الدراسات التداولية المطبقة على مختلف اللغات. تقوم هذه النظرية على مجموعة من الأسس التي تنظم العلاقة الحوارية بين المتكلمين الذين يدخلون في حوار بناء على عقد ضمني يحدد إسهام كل واحد من المتحاورين في تنمية العملية الحوارية، وهو مبدأ أساسي في بلورة الفكرة لتصل إلى غايتها، أي ضمان أسباب النجاح للعملية برمتها، وهو ما يفسر بوجودعقد ضمني بين المتحاورين، هذا العقد يختلف باختلاف نوع الخطاب، إذ لكل خطاب آلياته

البراجماتية التي تؤمن له النجاح. من أهداف هذا العقد الضمني جعل المتحاورين ينضبطون في حوارهم فيما بينهم، وهذا ما يعقد عملية الحوار.

تقسم هذه القوانين الحوارية إلى:

1) قانون التعاون، وهو رغبة الطرفين في تنمية العملية ونجاحها، حيث يتم التعبير بطريقة تجعل المتحاورين يفهم الآخر، فيستخدم عبارات مناسبة لمقام التخاطب، تجعل المخاطب يلتزم بموضوع الحوار.

2) قانون الملاءمة، والمقصود به التحدث بما يلائم وضعية المتخاطبين، وألا تستخدم عبارات خارج نطاق الموضوع من شأنها أن تحرف فهم المخاطب أو تجعله يخرج عن بؤرته الأساسية ليحشر فيه أفكارا أخرى خارجه.

3) قانون الجدية، وهو المبدأ المفروض توفره في كلا المتخاطبين ضمانا لنجاح الحوار، أي يجب أن يلتزم كلا هما الجدية في تناول الموضوع من سائر جوانبه، فإذا تسرب الشك من قبل أحدهما إلى جدية الحوار انهار وفشل.

4) قانون الإخبار، وهو أن يكون الكلام الذي يدور بين المتحاورين ذا دلالة تحتاج إلى بلورة بهدف الوصول إلى نتيجة، ويفترض في الحوار أن ينقل خبرا ما، فإذا حاد عن ذلك صار هراء.

5) قانون الشمولية، والمقصود به الإحاطة الشاملة بالموضوع ضمانا لنجاح الحوار بين المتخاطبين، ولا يعد الخطاب ناجحا إلا إذا أحاط بكل أطراف الموضوع، فإذا تخلى عن هذا الشرط كان فاشلا.

تعد هذه القوانين التي صاغها بول جرايس أساسية في كل حوار بناء بين المتحاوررين في المجتمع، وقد وقع التركيز على هذه القوانين لأن أي كلام هو في حقيقته ذو بعد حواري بالأساس، وعند تجتمع جميع أنواع الخطاب سواء منها المنطوق أو المكتوب.

بعد هذا العرض الموجز لنظرية جرايس نتطرق لمختلف درجات التداول ذات العلاقة بالنظام الإشاري للغة، وسنحصر الحديث في أشهرها التي صنفها الباحثون في ثلاث دراجات:

أولاً: النظرية التلفظية: (تداولية الدرجة الأولى)

وتقوم على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي تحصرها في:

1- الأنا، 2- الهنا، 3- الآن.

وتطلق على هذه العناصر الثلاثة الإشاريات: *Deictiques* (*Deixis*).

الأنا: المتكلم الذي يصدر عنه الخطاب.

الهنا: المكان الذي ينتج فيه الخطاب.

الآن: الزمن الذي ينتج فيه الخطاب أو اللحظة التي تتم فيها عملية التواصل.

هذه العناصر هي التي تحدد عنصر القصد في الملفوظ ويمكن القول بأن:

- الأنا هي جميع الضمائر (المتكلم والمخاطب).

- والهنا هي جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكان.

- والآن هي ظروف الزمان التي يمكن أن تكون بارزة أو مضمرة، التي تقوم بتحيين الخطاب، كما في الملفوظ، مثلا:

(أمر): اكتب الدرس

التي تعد بنية سطحية تتضمن الضمائر الموجود فيما يسمى بالبنية الضمنية أو العميقة:

"أنا أقول اكتب أنت الدرس الآن هنا".

ولكن كفاية المتكلم تحتفظ بها، لأنها لا تسمح بالتكرار، كما لا تسمح إلا بإنجاز ما هو ضروري لقيام عملية التواصل.

وهناك إشاريات صريحة هي التي نظهرها في الملفوظ، وإشاريات ضمنية نحتفظ بها في الكفاية البلاغية، ويتم تعويضها إما بإيماءات سيميائية وصواتية تسعف المتلقي على فهم الملفوظ ومن ثم الإجابة عنه ، والأغلب أن تكون الإشارات ضمنية. لكن الخطاب اللغوي لا يتضمن دائماً هذه الإشارات في البناء السطحي، بل يبقي عليها في البناء اللغوي الضمني الموجود عند جميع المتكلمين بشكل موحد، أي تبقى في المكون البلاغي الذي يتولى تفعيلها بشكل ضمني.

لا بد من وجود مخاطَب ومخاطِب في الاتجاه التلفظي ، ولكننا لا نعتمد في المستوى اللغوي إلا مستوى واحدا فقط. فالاتجاه التلفظي هو حضور عيني للمتقابلين تتوفر فيه شروط اجتماعية وثقافية معينة، وفي مجموعة من الظروف والملابسات المتشابهة.

ويصنف أصحاب هذا الاتجاه أنفسهم في خانة اللسانيين لأنهم يوظفون أدوات لسانية في التحليل، فعندما تقول:

هل قدم محمد من السفر؟

هذا ملفوظ قابل للتقعيد باعتبار أن الانتقال من جملة إلى جملة يجب أن يتم عبر وسائط لغوية فارغة دلاليا مثل أدوات الاستفهام، فهذه الأدوات وسيلة صورية تصاغ على شكل قواعد تداولية.

لماذا هذه المكونات الثلاثة (الأنا، الهنا، الآن) في الاتجاه التلفظي؟

إنها تعني أن الخطاب الملفوظ يشكل وحدة غير قابلة للتجزيء، إذ يتم فيه البحث عن المرجع أي المكون الأساسي الذي تبحث فيه التداولية، فإذا غاب واحد من هذه المكونات الخطابية غاب المرجع.

وهذا المرجع لا يمكن أن يكون ثابتاً بل هو مرتبط باللحظة التي يقع فيها الخطاب بدليل أننا نقول (الآن والهنا) ولا نقول (غداً).

يدخل هذا النوع من الدراسة في مجال سيميائيات السلوك البشري التي تهتم أساسا بالمرجع، فإذا غاب المرجع من سلوك البشر وتصرفاتهم فإنه سيصبح غير ذي معنى، وهذا المرجع متغير لا يمكن ضبطه إلا من خلال الإشاريات الثلاثة.

كما أن هذه الدراسة لا تهتم بالكفاية اللغوية لأنها تعدها تحصيل حاصل، ولكنها تهتم بالكفاية التواصلية وتعضد هذه الكفاية بالمكون البلاغي، لأنك لا تستطيع أن تنقل معنى جملة إلى معنى جملة أخرىآخر دون هذه الكفاية؛ فإذا فقد الإنسان المكون البلاغي سيصعب عليه إنتاج مقامات جديدة.

يجب ألاّ يفهم من مصطلح (الإشاريات) أن اللغة لا تتضمن مكونات أخرى غيرها، ففي اللغة عناصر دالة، مداخل معجمية، وعناصر إشارية، وهذا لا يعني أن (الأنا والهنا والآن) غير معجمية أو دالة بل هي دالة ولها مرجع، إلا أنها تبقى مضمرة في الكفاية اللغوية وتتولى الكفاية التواصلية إدراكها.

يهتم هذا الاتجاه بسلّميّة الخطاب، ويعتبر أن إرسال المتواليات اللغوية (الملفوظات) لا يمكن أبداً أن يكون نهائياً في دلالته، لأنه يؤدي دائماً إلى وجود اقتضاء يتضمن في ثناياه اقتضاء تدوليا آخر. وفي هذا الصدد لا يجب أن ينظر إلى اللغة على أنها طبقة نهائية من الإنتاج الخبري، بل إن كل منطوق يحمل في ثناياه طبقة دنيا وطبقة عليا، فعندنا يقول شخص:

أنا مريض

فإنه يلغي من ذهن السامع:

لست مشرفا على الهلاك (درجة عليا)،

(و) لست متعباً فقط (درجة دنيا).

إن النطق بملفوظ أنا مريض يلغي من ذهن سامعه مجموعة من الاحتمالات ولكنها موجودة في ذهنه، وهذا يعني أن كل ملفوظ يحمل قوة حجاجية تتردد بين القوة والضعف، أو السلب والإيجاب.

بهذا المعنى سيكون الكلام عبارة عن سلّميّات متدرجة دلالياً كما هو مبين في الشكل التالي:

أنا مشرف على الهلاك. أنا متضايق

أنا مريض. (أو) أنا أكاد أختنق

أنا مرهق. أنا وصلت إلى حالة اليأس

وكلما أنتج المتكلم ملفوظاً كانت تحته أو فوقه درجة أخرى أقوى أو أضعف منه دلالة.

إن قوة الملفوظ تكون في وقت إنتاجه وحسب موقعه من سلّميته، فإذا قلت اليوم: (أنا مريض)، وكررت قولها بعد ساعات أو غداً، فالمرجع مختلف: مرجع اليوم مخالف تماما للمرجع الذي بعده.

وتقوم بعض العناصر اللغوية بدورها التداولي فيما يتعلق بتحديد درجة الخطاب مثل أدوات التوكيد التي تحدد درجة الخطاب إما ضعفاً أو قوة.

وهكذا فإن الخبر الذي تحمله الملفوظات (الخبر المحمول) لا يمكن أن يكون ثابتاً، فكل ملفوظ يتضمن في ثناياه إلغاء درجات أخرى من الأخبار، وترتبط درجة الإخبار في الكلام بقصد المتكلم وهذا القصد بدوره يندرج في سلّميات خطابية يكون الشكل اللغوي إحدى مظاهرها، فلكل قصدية شكل لغوي يحددها، ولذلك فإن جملة (أنا مريض) تختلف عن جملة (إنني مريض).

وتلعب بعض الأدوات الدور الحجاجي في ضبط سلّمية الخطاب نقول (اليوم الطقس حار) حيث تفترض هذه الجملة أن الجو ليس دافئاً، وليس شديد الحرارة.

وليس من الضروري أن يحتفظ الشكل اللغوي بكل مكوناته ليعبر عن حجاجية عليا أو دنيا؛ إذ يمكن أن ينتج خطاب موازٍ تكون له الدلالة نفسها التي يعبر بها عن سلّمية خطابية معينة، مثلاً:

(أنا مريض) فإذا أردت أن أعبر عن سلمية عليا فليس من الضروري أن أستخدم الكلمة نفسها، بل أقول مثلاً (أنا مشرف على الهلاك) فالعبرة بالمعنى [6]وليس باللفظ.

يهتم هذا النوع من التداول باللغة يوصفها مظهرا فعليا (حدثيا)، مع إسناد قوة إنجازية للملفوظات التي يقوم عليها الخطاب، يوهو يقسم الملفوظات إلى قسمين:

1- إثباتي خبري، مثل: سافر الرجل.

2- إنجازي، مثل: هل سافر الرجل.

وإذا كان الحديث عن الكلام الخبري معروفاً بلاغياً، إذ يمكن تصنيفه من خلال مقولتي الصدق والكذب، فإن الكلام الإنجازي (الإنشائي) يستدعي وقفة علمية تحدد نوعه ومرجعه من وجهة نظر الأفعال الكلامية.

فهو السؤال، والأمر، والالتماس، والدعاء، والتعجب، والأمر، إلخ. يضاف إليها كل ملفوظ غير قابل للتأطير من خلال مقولتي الصدق والكذب مثل (أقول)، (أحكي)، (أفكر)، (أظن)، يضاف إليها عبارات العقود والتحية.

يهدف هذا الاتجاه إلى تحديد القوة الإنجازية (الإيحائية) في الملفوظ، وتحدد هذه القوة في الملفوظات من خلال موقع المتكلم في المجتمع، كما تحدد من خلال قوتها الإيحائية الدافعة للإنجاز والحاثة عليه، وعليه فإن الإنجاز سيكون خلاف الإخبار.

ترى هذه النظرية أن كل ملفوظ خبري يتضمن فعلاً إنجازياً، نقول مثلاً:

الجبل حجر

يمكن تحويلها إلى ملفوظ إنجازي بإضافة بعض المكونات الخطابية الكلامية، مثل:

أقول الجبل حجر

وبما أن "أقول" فعل إنجازي فإنه ينقل الجملة من الخبر إلى الإنجاز، ويتحدد نوع الملفوظ من خلال الفعل الذي يظهر فيه (يعمل فيه) على الشكل التالي:

1- أفعال إخبارية، مثل: كتب/ قرأ.

2- أفعال إنجازية، مثل: أقول / أرفض، أقبل.

---

[6] - **مصطلح المعنى عند التداوليين يحمل شحنة منطقية يختلف بها عن دلالته عند اللسانيين.**

يتألف الفعل اللغوي من ثلاث طبقات تشكل في مجموعها الفعل اللغوي:

1- فعل تصويتي: والمقصود به مجرد النطق بالصوت مثلاً (اكتب الدرس) فالمستوى الأول من هذا الملفوظ هو أنه منظومة من الأصوات لها دلالة.

2- الفعل الإنجازي: أي صياغة الملفوظ على شكل إلزام، أو التماس، أو أمر، أو استفهام أو غير ذلك. أي تصنيف الملفوظ في إحدى الخانات الإنجازية السابقة.

3- الفعل التأثيري: وله علاقة بالمتلقي، أي تنفيذ فعل ما بمجرد سماع الملفوظ، وهذا يتوقف على العلاقة بين المتحاورين، لكنه يركز بالدرجة الأولى على المتلقي حيث يتوقف التنفيذ على درجة الاقتناع لديه، فهو قد يفرح أو يغضب، أو ينفذ حسب متطلبات الملفوظ. وهنا تختبر درجة نجاح الملفوظ أو فشله.

يكون الملفوظ ناجحا إذا أدى إلى فعل تأثيري، ويكون فاشلا في حالة العكس. مثلا: لو قال رجل مسلم لزوجته: أنت طالق، فإن الملفوظ سيعد ناجحا بداهة، وإذا قال أحدهم لغير زوجته: أنت طالق، فالملفوظ فاشل بداهة. لكن إذا قال أحدهم للآخر: بعتك كذا، فإن الملفوظ سيكون ناجحا إذا كان المتلفظ يملك فعلا ذاك الذي جرى الكلام فيه، وسيكون فاشلا إذا لم يكن كذلك. أما إذا قال أحدهم للآخر: اذهب إلى المكان كذا وجئني منه بكذا، فإن الملفوظ سيكون ناجحا إذا كان الآمر أعلى درجة من المأمور، وفي حالة العكس فإن مآله سيكون الفشل.

تخلص من هذا إلى أن نجاح الملفوظ أو فشله يتوقف على عدة عوامل في مقدمتها العامل اللغوي الذي تصاغ فيه قوالب الملفوظات، أي القوة الإيحائية، يليه نوع العلاقة بين المرسل والمتلقي، وتليه في الأخير درجة اقتناع المتلقي بالملفوظ، ومدى فهمه له.

تجدر الإشارة في الأخير إلى أننا لم نحط بجميع أنواع التداوليات، ولعل أهم ما لم نتعرض له هو قوانين الحجاج عند المناطقة الذين لخصوا أبواب المنطق في بابين هما:أولا: التعريفات وأنواعها، والمقصود بها القوانين التي يكتسب بها اللفظ والقضية (الجملة) معناهما، والعكس، أي كيف ينحصر معنى ما في الملفوظ. وما يلحق بذلك مثل المفهوم والماصدق.

ثانيا: الحجج وأنواعها، والمقصود بها درجات الحجاج بشكل يقترب مما قدمناه هنا.

وتجدر الإشارة إلى أن المناطقة العرب قدموا تحليلات قيمة للمكون البلاغي والكفاية التواصلية قد تفوق بكثير ما قدمه الغربيون في هذا المضمار، مع اعتقادنا في عدم جدوى المقارنة نظرا لاختلاف الإطار المعرفي الذي يعد مرجعا لكل معالجة.

نذكر في هذا الصدد كتاب الباجي الأندلسي: المنهاج في ترتيب الحجاج، وكتاب: السلم المرونق في علم المنطق، مع شروحه التي يتجاوز عددها العشرين شرحا، وغيرهما من المؤلفات العربية التي عالجت مثل هذه القضايا التي نعدها أساسية في التعامل مع النصوص من حيث قدرتها على تفكيك آلية الخطاب وإعادة تركيبه من جديد، وصفا أولا، ثم شرحا وتفسيرا ثانيا، مع قدرتها على إشراك المتكلم في المعالجة.

المحاضرة الثامنة:نظرية الإستلزام الحواري

يعتبر الاستلزام الحواري أحد أهم المفاهيم التي تقوم عليها اللسانيات التداولية ،و هو ظاهرة مرتبطة باللغات الطبيعية الصادرة عن الإنسان، و يمثل إحدى خصائصها الأساسية .

مفهوم الاستلزام الحواري: إن التحاور مرهون بالتواصل الذي يتم بين شخصين ،و كل منهما يحاول إيصال رسالة معينة من خلال ما يتلفظ به، ظاهرة الاستلزام الحواري تؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن الضمني ،بحجة أن المتكلم يقول كلاما و يقصد به معنى آخر ،غير ما يوحي به كلامه حرفيا ،كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم آخر من كلام المتكلم.

يشكل الاستلزام الحواري حلقة وصل بين المعنى الحرفي الأصيل و المعنى المتضمن فيشكل الجملة ،و يعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعول على السياق في معرفة المعنى[7] ؛ففهم الكلام و تأويله من قبل المستمع أو المخاطَب يجب أن يكون مرتبطا بالسياق ،لأن هناك ظروفا معينة ينتج من خلالها الخطاب، لابد عند القيام بعملية التأويل لمعرفة معنى ذلك الخطاب.

و الكثير من العبارات اللغوية ،إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها ،لا تتحدد فقط فيما تدل عليه صياغتها الصورية ،لذا يلزم إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معن صريح إلى معنى مستلزم[8]،و الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم هو من صميم المقاربة التداولية و الوظيفة للخطاب الأدبي، و هو يفضي بنا إلى الحديث عن مفهوم المعاني الصريحة و المعاني الضمنية.

إن الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية يمكن أن تصنف إلى صنفين : الصنف الأول يشمل المعاني الصريحة ، وهر تلك التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها. أما الصنف الثاني فيضم المعاني الضمنية ،أي تلك التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها، و إنما تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها. و عليه ففي اللغة المتداولة تحت تأثير أهداف تواصلية محددة –قد نستعل جملة ما قاصدين معنى جملة أخرى.و من ثم يتم الانتقال من معنى مباشر صريح إلى معنى غير صريح أو مستلزم حواريا [9] فهناك دائما دلالات صريحة يوحي بها النص ،و هناك دلالات مضمرة يدثرها

النص في داخله، و التي تقتضي منا البحث و التنقيب عنا ،بالاعتماد بشكل كبير على السياق، الذي يعتبر خير معين على ذلك.

يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال الكلامية، كما يتعلق عند أوستين و سيرل ، كما يتعلق أكثر بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي ، والمعنى الضمني ينقسم بدوره إلى قسمين: معنى عرفي يقتضي الاقتضاء (الإحالة)و الاستلزام المنطقي (الدلالة المنطقية) ،و معنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص (الاستلزام الحواري)،و معنى معمم.و ينتج عن كل هذا أنماط من الأفعال حسب أوستين ،و هي:فعل التلفظ الفعل الصوتي و الفعل التركيبي .أما الفعل القضوي ،فيتفرع إلى الفعل الاحالي و الفعل الحملي .أما العلان الإنجازي و التأثيري ،فلا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح اختلافا كبيرا[10] .

ركز الراغماتيون على رأسهم غرايس على ما يلزم من معنى الكلام معنى آخر بقطع النظر عن حال الخطاب و قرائنه،و يتحقق هذا إذا كانت صحة الثاني شرطا لصحة الأول ،و هي ظاهرة عاملة تشمل كل كلام مهما كان ، ومن أمثلة ذلك:

-باع فلان منزله: يقتضي أن كان بملك منزلا

-فرح عمرو بالهدية:يقتضي أنه أهديت له هدية

الملاحظ من هذه الأمثلة هو هذا الاقتضاء في إنشاء الخطاب ،و الذي يعني اللزوم العقلي الذي يحصل بين معنى و آخر،و ينتمي عند العرب إلى دلالة العقلية أو ما سماء عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى" .و له أكثر من تطبيق في البلاغة و أهمها هو الكناية كما بيّن ذلك البغيون فكل كلام في الواقع يقتضي شيئا آخر غير ما يدل عليه في الوضع[11]،و المتكلم في كثير من الأحيان لا يصرح بما قام به أو ينوي القيام به لأسباب مختلفة خاصة به.

كما ركز البراغماتيون المحدثون على الكلام الذي يمكن أن يستنتج من معناه اللفظي أكثر من معنى حسب أحوال الخطاب وقرائنه، ومثال ذلك: شخص أحس بالبرد في مكان فقال:

-لا أريد أن أبقى في هذه الغرفة.

أو -شغل المدفأة من فضلك.

أو –أغلق النافذة.

أو–هذه الغرفة ليست مجهزة بمدفأة

و هذا كله تعريض يلمح به صاحبه بأنه مصاب بالبرد في هذا المكان،فالمتكلم يلمح إلى شيء لا يريدد أن يصرح به لأسباب متنوعة كالخوف والاحترام أو عدم الإزعاج أو عدم الجرأة[12] .

هذه بعض الأمثلة التي توضح كيفية معرفة الاستلزام الحواري في الخطاب الأدبي ،اعتمادا على منظور غرايس و ما أفاد به مجال النظير له.

و على العموم ،فإن تحليل النص الأدبي تحليلا تداوليا بحثا عن الاستلزام الحولري فيه،يقتضي الوقوف على العبارات اللغوية و استحراج الأفعال منها ،و القيام بتصنيفها ،و تبيان دلالتها و معانيها الضمنية ،و من ثم دراسة الاستلزام الحواري بربط الأفعال بالسياق الذي أنجزت فيه لمعرفة المعنى الحقيقي للكلام.

ظروف نشأة الاستلزام الحواري و أهم أعلامه:

يعد الفيلسوف "بول رايس" صاحب نظرية الاستلزام الحواري ،فقد اهتم بالجانب التداولي في الخطاب ،و جاء بأفكار جديدة حول التخاطب و التحاور و خاصة ،و ذلك بعد نشره بحثا في سنة 197 عنوانه "المعنى " (meaning) ،و الذي كان له صدى كبيرا في الساحة النقدية،حيث عمل على إبراز دور الاستدلال في التخاطب و أهميته و دور الدلالة العقلية كذلك[13].

و في مقال آخر له نشر سنة 1975 عنوانه "منطق المحادثة " قسّم الدلالة إلى قسمين ،دلالة طبيعية ،دبلة غير طبيعية،و تحدث عن كيفية انتاج الحطاب و تأويله تأويلا غير تواضعي تحديدا ،كما تناول مفهومين مهمين هما: الاستلزام الخطاب و مبدأ التعاون[14].

يقصد غرايس بالدلالات غير الطبيعية أن القائل يقصد شيئا ما من خلال جملة معينة ،فهو كان ينوي هو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في محاطبه بففضل فهم هذا المخاطب لنيته[15].

بهذا يركز غرايس من خلال تحديده لمفهوم الدلالة غير الطبيعية على القصد من كلام ،و يبحث عن نوايا المتكلم ،فلكل دلالة و قصد ،و لكل متكلم نية ما من وراء كلامه يريد تبليغها للمستمع بطرق خاصة.

الاتجاه المعياري

التي تدل على تقويم الأداء اللغوي،أوتلزم بنمط معين منه، نحو مصطلحات: الجواز، والوجوب، واللحن، والخطأ، والغلط،...الرديء والقبيح والفاحش والخبيث،الجيد والحسن والبالغ،...المطرد والشاذ، وإن كانت بعض هذه المصطلحات وصفية تصف حجم المادة(اللغوية المراد وصفها)إلا أنها حملت في أكثرالأحيان دلالة قيمية،حيث اقترن الاطراد بالحسن والجودة،كما اقترن الشذوذ بالقبح والرداءة[16]

مستقيم حسن،ومحال،ومستقيم كذب،ومستقيم قبيح،وما هو محال كذب[17]

وتصنيف التراكيب إلى واجب وجائز وغير جائز،ووصف ما يخرج عن القواعد المتعارف عليها بالشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه،أو تأويلها تأويلا قد يصل إلى حدّ التّعسّف والتّزيّد،أو تخريجها على أنها من باب الضرورات التي يسمح بها للشاعر دون الناثر[18]

بغية التوصل إلى ضوابطها وتحديد نظمها، ومن ثم معرفة قوانينها،وقد اضطلع كل علم من علوم اللغة(أي علوم اللغة التصويبية)بدراسة مستوى بعينه من مستوياتها:يلحظ ظواهره،ويصنف عناصره ،ويحدد علاقاته، ويوضح

خصائصه ومقوماته...ويصوغ ذلك كله في شكل قواعد وضوابط ملزمة لابد من مراعاتها في النشاط اللغوي،ومن ثم تصبح هذه القواعد والضوابط معيارا للصحة والخطأ

الثانية فتنحو منحى وظيفيا تداوليا

التي تعطي جل عنايتها لوظائف المكونات في الجملة،وهي تستند إلى البعد التداولي للغة،بحكم أنها وسيلة تواصل[19]

كمدرسة"**براغprague**"،ومدرسة"**فيرثfirth**"السياقية،والنظرية الوظيفية،والمدرسة النسقية، والتداولية"**pragmatique**"، والنحو الوظيفي

ما قام به علماء العرب القدامى

إنطلاقا من أنماط المقامات التي تنجز فيها،بل إنهم اعتبروا في تحليلهم لهذه المجموعة من الظواهر،أن الوظائف التداولية تحدد بنية الجملة التي تستند إلى أحد مكوناتها، فالمكون"قصيدة"مثلا في الجملة:قصيدةً ألّفتُ(لاكتاباً)،يحتل الموقع الصدرلأنه حامل لوظيفة تداولية معينة هي:وظيفة التخصيص[20]

ولم يفهموا من اللغة أنها منظومة من القواعد المجردة فحسب،وإنما فهموا منها أيضا أنها لفظ معين يؤديه متكلم معين في مقام معين لأداء غرض تواصلي إبلاغي معين[21]

فالكلام في نظرهم:«هو ما تركب من كلمتين أو أكثر،أسندت إحداهما إلى الأخرى، بإسناد أصلي مقصود لذاته، يحسن السكوت عليه،سواء من قبل المتكلم أم السامع،مثل:«زَيْدٌ قَائِمٌ»و«قَامَ أَخُوكَ»بخلاف اللفظ: «زيد»و«غُلاَم زيد» و«الَّذِي قَامَ أَبُوهُ»،فلا يُسَمَّى شيء من هذا مُفِيداً؛لأنه لا يحسنُ السكوتُ عليه،فلا يُسَمَّى كلاماً[22]

وإنّما كان التفريق بينهما من وجهة نظر إجرائية منهجية،تعود إلى بؤرة اهتمام كل منهما بالتركيب اللغوي«فكلّ يحلّلُ اللغة برؤى معينة وفقا لزاوية نظره وبؤرة اهتمامه وتصوراته،ورغم ذلك فبين هذه الأنظار قدر مشترك،إذ لا

يخلو الاتجاه الوظيفي من ملامح شكلية (معيارية)تتمثل في اعتماد البنية في التحليل واستخدام المفاهيم والمصطلحات ذاتها،وإن إختلفت دلالتها بين الاتجاهين[23]

كان سيبويه ينزع منذ نشأة الدرس النحوي إلى توظيف«السياق والملابسات الخارجية وعناصر المقام،ويتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها،وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام...فهو لا يحلل عادة الملفوظات(أي التراكيب)بانقصال عن سياقاتها ومقاماتها،وهو يركز على بيان أوجه الائتلاف والاختلاف الأساسية بين هذه الملفوظات حال انجازها،فقد كان يعتمد النظرة الفعلية للغة من خلال متابعته للاستعمال اللغوي للمتكلم العربي[24]

يجمع بين خصائص المعيارية والوظيفية في باب إضمار المفعولين مثلا ما نصه:«إذا كان المفعولان اللذان تعدى إليهما فعل الفاعل مخاطبا وغائبا،فبدأت بالمخاطب قبل الغائب،فإن علامة الغائب العلامة التي لا تقع موقعها إيَّا،وذلك قوله أعطيتكه وقد أعطاكه،وقال عز وجل:﴿فَعَمِيتْ عَلَيْكُم أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾وإنّما كان المخاطَب أولى بأنْ يبدأ به من قبل أنّ المخاطَب أقربُ إلى المتكلم من الغائب،فكما كان المتكلم أولى بأنْ يبدأ بنفسه قبل المخاطب،كان المخاطب الذي هو أقرب من الغائب أولى بأنْ يبدأ به من الغائب،فإنْ بدأت بالغائب فقلت:أعْطاهُوك فهو في القبح،وأنه لا يجوز بمنزلة الغائب والمخاطَب إذا بدأ بهما قبل المتكلم،ولكنك إذا بدأت بالغائب قلت: قد أعْطاهُ إياك.وأمّا قول النحويين قد أعْطَاهُوك وأعْطَاهُونِي، فإنّما هو شئ قاسوه لم تكلم به العربُ ووضعوا الكلام في غير موضعه،وكان قياس هذا لو تكلّم به كان هيّناً[25]

وذلك أنّ رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أنْ يخبرَك عن نفسه أو عن غيره بأمْرٍ فقال:أنَا عبدُ اللهِ منطلقاً،وهو زيدٌ منطلقاً،كان محالاً،لأنه إنّما أراد أن يخبرَك بالانطلاق ولم يقل(هو)ولا(أنا)حتى استغنيتَ أنت عن التسمية،لأنّ (هو) و(أنا) علامتان للمضمر،وإنّما يضمر إذا علمَ أنّك قد عرفتَ من يَعْنِي.إلا أنّ رجلاً لو كان خلْفَ حائطٍ أو في موضع تجهله فيه فقلت:مَنْ أنت؟فقال:أنا عبدُ الله منطلقاً في حاجتك،كان حسناً[26]

سيبويه زاوج بين المنحى المعياري و المنحى الوظيفي في تحليلاته و دراساته

قولك أَتَميميّاً مرّةً وقَيْسِيّاً أُخْرَى،وإنَّما هذا أنَّك رأيتَ رجلاً فى حال تَلَوُّنٍ وتنقُّلٍ فقلتَ أَتميميّاً مرّةً وقيسيّاً أُخْرَى،كأنّك قلت أتحول تميمياً مرة وقيسياً أخرى،فأنت فى هذه الحال تَعمل فى تثبيتِ هذا له،وهو عندك فى تلك الحال فى تَلَوُّنٍ وتنقُّلٍ، وليس يَسأله مسترشِداً عن أمرٍ هو جاهلٌ به ليفهَمَه إيّاه،ويُخبِرَه عنه ولكنه وبَّخه بذلك[27]

أنَّ الانسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه وينعم تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه فيقول له:"يا فُلاَنُ أيْنَ أنْتَ أَرِنِي وَجْهَكَ أَقْبِلْ عَلَيَّ أُحَدِّثَكَ أَمَا أَنْتَ حَاضِرٌ يَا هَنَاهُ"،فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك،فلو كان استماع الأذن مغنيا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه وعلى ذلك قال:

الْعَيْنُ تُبْدِي الَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبْهَا**مِنَ الْعَدَاوَةِ أَوْ وُدٍّ إِذَا كَانَا

وقال الهذلي:

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لاَ تُرَعْ**فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلا على ما في النفوس،

وعلى ذلك قالوا:رُبَّ إِشَارَةٍ أَبْلَغُ مِنْ عِبَارَةٍ.وحكاية الكتاب من هذا الحديث وهي قوله:"ألاتا و بلى فا"،وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله:أنَا لا أُحْسِنُ أنْ أُكَلِّمَ إنساناً في الظُّلْمَةِ.فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها،وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر إلى قصود العرب وغوامض ما في أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأي والنحيزة والعقل[28]

ابن هشام يؤكد هذا في العمل ابالاتجاهين

في ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ،الجهة الأولى:أن يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة،ولا يراعي المعنى،وكثيرا ما تزلّ الأقدام بسبب ذلك.وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه، مفردا أو مركبا،...الجهة الثانية:أن يراعي المعرب معنى صحيحا،ولا ينظر في صحته في الصناعة[29]

متى بُني فيها على ظاهر اللَّفظ،ولم يُنظر في مُوجب المعنى،حصل الفساد،وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهمٌ بهذا السَّبب[30]

أنّ الآلية في العلوم تتعلق بالعمل من جهة انبنائها على الإجراءات،ومن جهة تقويمها للسلوك،ثم من جهة إقامتها للعلم على العمل[31]

كانت قراءة القرآن عن طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات،وكان التفسير بالأثر أسبق من غيره من ألوان التفسير وأسبق من التأويل،وكان الفقه أسبق من الأصول،ومن هذا التطور العام نستطيع أن نتصور تطور الدراسة اللغوية عند العرب،بحيث نراها بادئة بما هو عملي(استعمالي)،من حيث جمع الألفاظ وضبطها،ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللغة[32]

ويؤكد هذا التوجه ما اشترطه علماء المسلمين فيمن يقدم على التفسير أن يلم بخمسة عشر علما وهي:«اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق وعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)وعلم القراءات وأصول الدين وأصول الفقه وعلم أسباب النزول والقصص وعلم الناسخ والمنسوخ والفقه والحديث وعلم الموهبة[33]

نظرية تشومسكي:

من خلال القراءة المتأنية لأصول هذه النظرية نستنتج أن تشومسكي يرى " أن اللغات الإنسانية على اختلافها تجمعها خصائص عامة ترجع في أصلها إلى العقل، وهذه الخصائص العامة هي جزء من الملكة الفطرية التي يمتلكها الطفل، والبالغ على السواء بحكم امتلاكه لهذه الآلة الفريدة والمميزة للإنسان، وهي العقل، وتظهر آثار تلك

الخصائص العامة عندما يتعرض الطفل عن طريق السماع للاستعمال اللغوي في بيئته، حيث يقدم له هذا السماع المادة اللغوية التي تعمل فيها الملكة الفطرية، ومن ثم يستطيع استخدام تراكيب معقدة وقواعد مجردة للتعبير عن أفكاره بسهولة ويسر"[34].

والقدرات العقلية ،كما يرى أصحاب هذه النظرية ،هي التي تؤهل الأطفال على أن يتعلموا" قواعد لغوية بالغة التعقيد بسرعة هائلة. توحي هذه السرعة في اكتساب قواعد اللغة بأن الإنسان ذو تركيب خاص يؤهله لاكتساب اللغة عن طريق تحليل البيانات اللغوية التي يتلقاها وتكوين الفرضيات حول كيفية التركيبات اللغوية"[35].

و من هنا ؛وجب التركيز ،كما يرى تشومسكي، على الكفاية اللغوية التي تعني "معرفة المتكلم أو السامع للغته، وعليه فقواعد اللغة عنده هي وصف للكفاية الحقيقية للمتكلم المثالي، فالهدف الاستراتيجي للسانيات هو الكشف عن المقدرة اللغوية المشتركة بين جميع المتكلمين التي تمكنهم من فهم وبناء عدد غير محدود من الجمل الصحيحة قواعدياً والتي لم تسمع من قبل وأما الأداء فشأ ثانوي، إذ لا يشكل سوى قمة جبل كبير من الكفاية اللغوية التي يتحكم في تشكيلها عوامل كبيرة لا تتعلق بعلم اللغة"[36].

ومما يجب الإشارة إليه فيما يخص تفسير ظاهر اكتساب اللغة فإن هذه النظرية تعتبر من أهم النظريات اللغوية في ذلك، بخلاف النظرية الوصفية البنيوية السلوكية، التي ترى أن عملية الاكتساب اللغوي تتم عن طريق التلقين، والاستجابة الشرطية، والحافز.

ويمكن تلخيص موقف هذه النظرية من ظاهرة اكتساب اللغة من خلال النقاط الآتية":

-1إن اكتساب البنى اللغوية عند جميع أطفال البيئة الواحدة يتم على نسق واحد.

-2يكتسب الطفل السليم المعرفة اللغوية من خلال تعرض شفاف لما يسمعه، دون تدرج.

-3يستطيع الطفل أن يكتسب لغة قومه في خلال أربع سنوات بطريقة سهلة وميسرة.

-4يجب ألاّ تتعدى خصائص لغة الطفل التي يكتسبها قدراته الطبيعية على الاستيعاب.

-5إن الطفل السليم لا يكتسب اللغة واستعمالاتها فحسب، بل يمتلك القدرة والتقنية على التواصل اللغوي، وبالتالي يتمكن من إدراك أهمية اللغة ودورها الوظيفي في المجتمع الذي يعيش فيه.

---

[34] - ينظر : د. بليغ حمدي إسماعيل " استراتيجيات تدريس اللغة العربية - أطر نظرية وتطبيقات عملية" ،دار المناهج،ص5.

[35] -المرجع السابق،ص5

[36] -المرجع نفسه ،ص5.

-6إن الطفل الذي نجح في اكتساب لغة قومه يكون قد نمَّى في ذاته تصوراً داخلياً لتنظيم من القواعد، يسمَّى "الكفاية اللغوية" أو "القدرة اللغوية"[37].

لهذا فإن النظرية (التوليدية والتحويلية) ،لدى تشومسكي،"ترى أن عملية اكتساب اللغة عند الطفل هي عملية اكتساب تنظيم من القواعد بالغ التعقيد يؤهله لتعلم لغته من خلال تعرضه مباشرة للمظاهر اللغوية المحيطة به، وهذا شيء خاص بالإنسان وحده، لا يشاركه فيه مخلوق آخر؛ لما ميزه الله به من عقل ومنطق عن غيره من المخلوقات الأخرى"[38].

ومما سبق تكون هذه النظرية، وفق التفسيرات التي أتت بها، "قد هدمت كثيراً من المفاهيم السائدة قبلها في تفسير ظاهرة اكتساب اللغة. إذ ترى أن الطفل بصفته إنساناً يتوصل في خلال مدة زمنية قصيرة نسبياً إلى اكتساب الكفاية اللغوية، وهي المعرفة بتنظيم قاعدي بالغ التعقيد يؤهله لتعلم اللغة"[39].

وعلى هذا فقد خالفت النظرية التشومسكية ، بصورة أساسية واضحة، التفسير الذي كان سائداً منذ قبل ، والذي يتلخص في أن الطفل يقوم بوظيفة نقل للغة قومه، و يحاول أن يحاكيها إلى أن يتوصل إلى أن يلم بلغة وسطه اللغوي، وفي أن ذهن الطفل،قبل ذلك، صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة، وهذا هو التفسير الذي نادت به النظرية السلوكية في تفسير ظاهرة اكتساب اللغة، والتي يمكن تلخيص موقفها في النقاط الآتية":

1. إن اكتساب الطفل لغة قومه يندرج ضمن إطار نظرية التعلم، فهو شكل من أشكال السلوك الإنساني، ولا يختلف عن أية مهارة سلوكية أخرى.

2. يتم اكتساب الفونولوجيا عند الطفل من خلال تحويل الأصوات العفوية إلى أصوات لغوية عن طريق تدعيمها، أو عن طريق تعزيز الطفل باتجاه اكتساب الأنماط الصوتية من الكبار.

3. تتولد الاستجابات اللفظية عند الطفل عبر المثير، أو الحافز الفيزيائي، وتتعزز من خلال محاولات الطفل التلفظ بها. إن محاكاة الكلام هي بمثابة تشجيع، ومكافأة للمناغاة التي يقوم بها الطفل في أول مراحل الاكتساب.
يكتسب الطفل –من وجهة نظر هذه المدرسة السلوكية– أصوات اللغة بصورة آلية من خلال التكرار، والتواصل، والممارسة المستمرة لهذه العادات اللفظية. يتم اكتساب الطفل طريقة نطق الكلمات، وفهم معانيها وتركيبها في جمل مفيدة عبر مسار شرطي.

---

[37] -المرجع السابق،ص5
[38] -المرجع نفسه،ن ص.
[39] - المرجع نفسه،ن ص.

ويرفض تشومسكي هذه النظرة إلى اكتساب اللغة؛ لأنها قائمة على آراء سابقة وأولية؛ ولأنها تنظر إلى الإنسان على أنه آلة، أو على أنه لا يختلف عن الحيوان، ولا تراعي قدراته العقلية والمنطقية والفكرية.

ويتبين مما سبق أن نظرة تشومسكي إلى عملية اكتساب اللغة تختلف كلية عن النظرة السلوكية، التي ترى أن عملية الاكتساب تتم تدريجياً من خلال لا شيء، أو من خلال "دماغ فارغ"، وبواسطة الاستقراء والتعميم، وبدون أية ضوابط بيولوجية[40] .

[40] - ينظر : المرجع السابق ،ن ص.

المحاضرة السابعة:متضمنات القول :

تمهيد: الحذف ظاهرة من الظواهر اللغوية ،و يمكن الوقوف عليها في كل اللغات الإنسانية،بل حتى اللهجات ، وحضوره في اللغة العربية جلي و قوي في تراكيبها الإسنادية ، والسبب يعزى إلى أنه من خصائصا التركيبية الميل إلى الإيجاز و الاختصار ،و الحذف ضرب من أضرب تلك الظاهر اللغوية ،و قد يؤدي من الدلالات ما يؤديه الذكر والاتساع في القول .

و قد تحدث عن عبد القاهر الجرجاني (741هـ)عن الحذف ،فقال :"هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ،عجيب الأمر شبيه بالسحر ،فإنك ترى به ترك الذكر ، وأفصح من الذكر ،و الصمت عن الإفادة ،أزيد من الإفادة ،و تجدك أنطق ما تكون إن لم تنطق ،و أتم بيانا ..."41،و بعد أن يقدم الجرجاني شواهد شعرية فبها حذف قدره يواصل و يقول :"فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرئها واحدا واحدا و انظر إلى موقعها في نفسك و إلى ما تجده من اللطف و الظرف إذ أنت مررت بموضع الحذف منها ثم قلبت النفس عما تجد و ألطف النظر فيما تحس به، ثم تكلفت أن ترد ما حذف الشاعر ،وأن تخرجه إلى لفظك و توقعه في سمعك ،فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ،وأن ربّ حذف هو قلادة الجيد ، و قاعدة التجويد"42.

و عليه فالحذف في بعض المواضع أجود من الذكر ،بل أقوى منه ، وأحسن تعبيرا من المقصود ، وأجود كشفا عما يرمي إليه المتكلم ،فأحيانا الذكر "لا يناسب الغاية التي قصدها الشاعر لذلك لجأ إلى الحذف للإثارة ،و استحدأث الإستجابة العاطفية الذهبية "43،فلا تعمد إلى الحذف لمجرد الحذف،بل هناك غاية و هدف من وراء ذلك ،و"لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ثم حذف بعد وجوده،و لكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام اللغوي وبين مطاب السياق الكلامي الاستعمالي "44، وقد اهتم به البلاغيون كثيرا ،و لم يغفل عنه التداوليون ،أما النحويون فقد تنبهوا له منذ منذ القرن الأول من الهجرة ،كل هذا لما يحمله من جمال فني و إبداعي ،و ما تنزاح إليه تلك القوالب اللغوية من دلالات و أغراض بلاغية ، وقد تعددت و تنوعت بحسب التكيب الذي ترد فيه ،فهز أسلوب لا يلجه إلا

فرسان البلاغة –مثل ابن الأثير– ،و لا دخل في أن "الذي طرقوا بابه هم النحاة الذين عنوا بدراسته ،و بينوا مواضعه،إذ كانوا يذكرون اللفظ و يحذفونه حسبما يقتضيه السياق و المعنى"[45].

قبل الاسترسال في موضوع الحذف ، ومقاماته ،و دلالاته البلاغية أو التداولية،نرى بأنه من الواجب التوقف على مفهوم هذا المصطلح ،و ما تداخل معه من مصطلحات أخرى.

الحذف لغة : جاء في الصحاح :حذف الشيء :وإسقاطه يقال حذفت من شعري و من ذنب الدابة أي أخذت...و حذفت رأسه بالسيف ،إذا ضربته فقطعت منه قطعة"[46]فالحذف هو الإسقاط ،و هو القطع.

ويضيف ابن منظور (711هـ)معنى الرمي و الضرب جانبا في قوله :"حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه،و الحجّام يحذف الشعر من ذلك ...و الحذف الرمي عن جانب و الضرب عن جانب "[47].

و اصطلاحا :الحذف عن الجاحظ هو "إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية،مع وجود دليل على المحذوف"[48]،و يقصد بالدليل القرينة لفظية كانت أو معنوية ،حتى يتسنى فهم الكلام و تقدير المحذوف دون أن يقع لبس في الكلام.

ويقول ابن هشام الأنصاري (761هـ) بأن الحذف "يلزم النحوي النظر فيه،و هو ما اقتضته الصناعة ،بأن يجد خبرا دون المبتدأ،أو العكس ،أو شرطا دون جزاء ،أو معطوفا دون المعطوف عليه،أو معمولا دو عامل "[49]، فالحذف يكون في البنى التركيبية حيث يستطيع النحوي الوقوف على جزء المحذوف من الجمل ،و هذا أمر تفرضه و توجبه قواعد النحو و الصرف.

و من أشمل التعاريف التي و قفنا عليها للحذف عند التداولين نا قاله طاهر سليمان حمودة بأنها "ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية حيث يميل الناطقون إلى الحذف بعض العناصر المكررة في الكلام،أوإلى حذف

ما قد يمكن للسامع فهمه اعتمادا على القرائن المصاحبة حالية كانت أو عقلية أو لفظية"[50] ،فالحذف متعلق بجميع اللغات الطبيعية ،التي يسعى متكلّيموها إلى الاقتصاد و التخفيف من الكلام دون الإخلال بالمعنى المقصود اعتمادا على مجموعة من القرائن بعضها يتعلق بالجانب التركيبي (القرينة اللفظية)،و البعض الآخر متوقف على علم المخاطَب بالجزء المحذوف ،انطلاقا مما يوفره المقام و الظروف المحيطة أضف إلى ذلك المعرفة المشتركة بين المخاطِب والمخاطَب (القرينة الحالية).

و يتدخل مصطلح الحذف حتى يوشك أن يتحد مع بعض المصطلحات الأخرى،و نرى لزم علينا في عجالة لضيق المقام عندها ،على بيان ذلك.

المحاضرة التاسعة :قوانين الخطاب

تقوم نظرية التداولية على جملة من قوانين الخطاب حتى يكون يسير في ركب العملية التواصلية و على رأس القوانين مبدأ التعاون الذي حدده غرايس أنه يوم على أربع مسلمات لتنضبط المحادث و الحوار ، وهناك قوانين أُخر للخطاب لكي يبني مقصده أو التلميح له بواسطة آليات معينة تجعل المخاطَب يدرك م يصرّح أو لم يُصرح به ،و قد صاغها غرايس ضمن ما يسنى ب"أحكام المحادثة"،و أعاد ديكرو بسطها ضمن ما يدعى ب"قوانين الخطاب"،و تنوّعت أكثر مع جهود الباحثين آخرين.

طبيعة قوانين الحطاب:

لا تقف طبيعة هذه القوانين عند حدود مقتضيات الضوابط اللغوية ، بل تتعدّها لتضم تلك المعطيات غير اللغوية التي يبني عليها المتكلم معارفه اللغوية،التي تجعله يحتكم إليها في خطابات اللغوية المختلفة.و رغم ذلك فهي غير بعيدة عن القواعد اللغوية ؛بل تستمد تنظيمها منها وفي عذا يقول عمر بلخير "هي مجموعة من القوانين الكمّلة للقواعد التركيبية الدلالية،تستمد وجودها من المجتمع،و ما جُبل الإنسان عليه من قدرات ذهنية استنتاجية،و تتحكم هذه القواعد في لعبة التبادل الكلامي بين الأشخاص عن طريق تحديدها للأدوار،و في إبرازالبعد التبادلي الحواري للخطاب ، وكذا منزلة الشخص حين تناوله للكلام.والهدف الرئيسي لهذه القواعد هو تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي قد تنعه بعض اللأحوال عن التصريح بها،أو أن يرغب في صياغتها على نمط يكون أكثر إبلاغا و أحسن تأدية و أكثر إقناعا،ليتمكن المستمع فيلا الأخير من إدراك ما لم يرغب المتكلّم في الإفصاح عنه".

ومنه ما نلاحظه أن هذه القوانين تتعلق بالمجتمع و أخلاقه،و تشكّل في أساسها معطيات توجّه و تحدّد طبيعة الكلام الذي يحققه المتكلم.

قوانين الخطاب اللغوي:

تتعدّد لقوانين التي تحكم الخطاب اللغوي ،و قد انشغل الكثير من الباحثين من أجل إبرازها و بيان كيفيات استغلالها في الأستعمال اللغوي،قبل تقديمها نشير إلىهذه القوانين اختلفت و تطوّرت من عالم لآخر بحسب المآخذ التي تسجّل على كل واحد منهم.و في هذا الإطار سنركّز على ما يلي:

أ.منطق المحادثة (الاستلزام الحواري):

يتعلق بتلك الضوابط و المعطيات التي تحكم الخطاب اللغوي بين متداوليه،و يستمد أطروحاته من القيم الاجتماعية و الأخلاقية التي تفرض على أفراد البيئة اللغوية المعينة احترامها و العمل بها لتنتظيم النشاط الكلامي .

صاحب هذا المبدأ هو غرايس الذي بيّن ان المشاركين في النشاط الكلامي يُفترض أن يحترموا هذا المبدأ ؛ إذ يتوقعون أن يُسهم كلّ واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية و متعاونة في تيسير إنتاج الكلام و تأويله،و قد صاغ هذا المبدأ في قوله"ليكن انتاضك لتخاططب عل الوجه الذي يقتضيه الغرض منه".و قد شرح غرايس هذا المبدأ أكثر مقترحا أربع قواعد متفرعة منه ،لابدّ أن يحترمها المتخاطبون و يستغلونها(الكم –النوع –العلاقة– الكيف).

قاعدة الكم تستلزم أن : –تكون إفادة المخاطب على قدر حاجته .

–أن لا تتعدّى الإفادة القدر المطلوب.

قاعدة النوع :و تقتضي من المتكلم :

–أن يكون صادقا فيما يقوله.

–أن لا يقول ما ليس بيّنة.

قاعدة العلاقة (المناسبة): وتستدعي من المتكلم أن يجعل كلامه مناسبا وذا علاقة بالموضع و المقام معا.

قاعدة الكيف (البيان و الوضح):تتطلب من المتكلم:

–الإيجاز والإفصاح–الإحتراز من الغموض و الإلتباس–ترتيب الكلام و تنسيقه.

و هذه اقواعد متداحلة في أصلها ،و لذلك فهي "تمثّل مجرّد معايير ينبغي للمخاطبين اتباعها فحسب؛بل تمثّل ماينتظرونه من مخاطبيهم ؛فهي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية أو قواعد سلوك". و هي مبنية على التعاون بين المخاطبين من أجل نجاح النشاط التبليغي و عدم تضييع الغاية التي يتأسس عليها الكلام.

ونشير هنا إلى أن أي انتهاك لقاعدة من القواعد قد يؤدي بالمخاطب إلى توظيف آليات أخرى من أجل الوقوف على المقصد من القول ،قدل نمثّل لذل بجواب عمرو حينما يسأله زيد :"هل تعرف اين يسكن بكر ؟" فيجيب عمرو :"في ناحية قريبة من هنا"؛حيث نلاحظ أن الإحابة قد انتهكت قاعدة الكم التي تتطلب التحديد أكثر.و لكن بإمكان زيد ههنا أن يوظف آليا استنتاجية أخرى يدرك من خلالها أن عمرو يعرف بدقة مسكن بكر.وهذه الآليات هي لإي أساسها –كما لاحظ غرايس متفرقة عن منطق المحادثة .فعن طريقها يحاول الفرد الوقوف على المعان ي الضمنية التي يقتضها القول.

ب.مبدأ التأدّب و اعتبار جانب التهذيب:

و هو مبدأ تكميلي للمبدأ السابق ،أشارت إليه لاكروف(R.Lakoff) في مقالتها "منطق التأدّب"، و ذكرت أنّه بالاضافة على قواعد "التبليغ" التي يقتضيها السياق اللغوي هناك ضوابط أخلاقية أخرى لابدّ من مراعتها ،لاتقلّ شأنا عن الأولى باغتبار أنها تسهم هي أيضا في تحقيق الإفادة المقصودة

تتفرّع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد تهذيبة :

قاعدة التعفف : (التأدّب بالآداب العامة)مقتضاها "لا تفرض نفسك على المخاطب"

قاعدة التشكك:مقتضاها "لتجعل المخاطب يختار بنفسه)

قاعدة التودّد:مقتضاها "لتظهر الودّ للمخاطب"

ج.مبدأ التواجه و اعتبار العمل:

و هو مؤسس على المعطيات الأخلاقية و الاجتماعية التي تُطبع عليها الجماعة اللغوية في إطار العلاقة التواصلية ،و قد ورد مضمون هذا المبدأ عند براون brown و ليفنسن levinson في دراستهما المشتركة "الكليات في الاستعمال اللغوي :ظاهرة التأدّب".و يمكن صياغة هذا المبدأ في "لتصن وجه غيرك".

و ينبني هذا المبدأ على مفهومين أساسين ؛أحدهما مفهوم "الوجه"،و الثاني مفهوم "التهديد"،و هو نقيض "الصيانة".أما "الوجه" "فهو عبارة عن الذات التي يدعيها المرء لنفسه،و التي يريد أن تتحدد بها قيمته الاجتماعية،و هو ضربين ؛"وجه دافع" أو قل "سلبي"،و "وجه جالب"أو قل "إيجابي ".أما الوجه الدافع فهو أن يريد المرء أن يعترض الغير سبيل أفعاله،أو قل هو"إرادة جلب الاعتراف".و أما الوجه الجالب فهو أن يريد المرء أن يعترف الغير بأفعاله،أو قل هو "جلب الاعتراف"،فتكون المخاطبة هي المجال الكلامي التي يسعى فيه كل من المتكلم و المخاطب إلى حفظ "ماء" وحهه بحفظ "ماء" وجه مخاطَبه".و جه العير تكون نابغة من المخاطِب فيفضلها بتحقق التهذيب في القول.

المحاضرة العاشرة :الإقتضاء التداولي

الاقتضاء لغة:

قضى يقضي قضاء حكم و أمر قال تعالى :"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا".

معجم اللغة العربية المعاصرة

اقتضاء

• مصدر اقتضى: طلب الشارع مطلقًا، سواء أكان طلب فعل أم طلب ترك، وسواء أكان على وجه الجزم أم غير الجزم.

معجم الغني

اِقْتِضَاءٌ

[ق ض ي]. (مص. اِقْتَضَى). **عِنْدَ الاقْتِضاءِ سَنُدْلِي بِشَهادَتِنَا**: عِنْدَ الضَّرورَةِ

الاقتضاء

من اقتضى، الاستلزام – الاقتضاء النص: أمر لا يمكن العمل بالنص إلا بشرط تقدمه عليه.

الاقتضاء اصطلاحاً:

الأصل في الكلام أن يدل كل لفظ على معناه ومقصده دون اللجوء إلى إضافة أو تقدير و عليه توظيف الأفعال التي تفصح عن المراد، ولكن قد يستدعي في سياقات معينة إضافة أ تقدير لتحقيق الإفادة ذلك الاقتضاء ، و هو طلب إفادة أو تقدير عبارة ليستقيم الكلام و بالتالي تحقيق الفهم الذي يُبنى عليه الكلام و يتأسس الكلام عن الكلام المحقق و المقتضى هو ما يستدعيه إنتاج لغوي محقق و المقتضى هو الأساس في عملية التقدير ،و لمقصود من إظهار مفهوم الاقتضاء أن المنصوص يبقى غامضا ما لم يعتمد على هذه الإضافة لكي يحقق غايته .

والاقتضاء مفهوم منطقي أكثر منه لساني حيث ظهرت بوادر هذه النظرية على هامش الأبحاث المنطقية التي تناولت القضايا باعتبار قيمتها الصدقية "les valeurs de vérité"،وقد وردت في أبحاث "فريج" وهو أول من تنبّه إلى الارتباط بين الإحالة و الاقتضاء ،فإذا كانت العبارة ،فإذا كانت العبارة محيلة فهذا يقتضي وجود شخص في العالم الواقعي تحال إليه فعندما نقول مثلا الرئيس الجزائري 1970م ،هو رئيس السلطات فهذا يقتضي وجود شخص تولّى رئاسة الجزائر عام1970،هو الرئيس هواري بومدين.

مميزات الاقتضاء التداولي :

يعد الاقتضاء من أبرز المفاهيم التي تقوم عليها التداولية إلى جانب استنادها إلى مبادئ عامة تقع خرج تنظيم اللغة ،وللاقتضاء مميزات متعددة منها :أنه يقدم تفسيرا صريحا لمقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل ،أي أكثر مما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة ،فعلى سبيل المثال إذا سألت أحدا عن الساعة فقال :"لقد أذّن العصر "،فالجواب الحقيقي هو أن يجيب بقوله :الساعة الخامسة أو السادسة مثلا، أما الجواب ب"لقد أذّن العصر " فهو جواب تداولي فيه اقتضاء ؛لأن الجواب "لقد أذّن العصر "جواب تقريبي؛ ولأن وقت الأذان معلوم عند كل شخص إلى جانب أن الشخص ربما لم يكن عنده ساعة حتى يجيب ،و لكن لم يجب إجابة صريحة ،و على هذا فالجواب يحمل اقتضاء تداولي

وبهذا تكونُ دلالة الاقتضاء ثلاثةَ أنواع:

الأول :المقتضى الذي يجب تقديرُه لصِدق الكلام، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((مَن لَم يجمعِ الصيامَ قبل الفجر، فلا صيامَ له))[51]؛ فالحديثُ الشريف ينفي الصومَ، والصوم لا ينتفي بصورتِه، فمعناه لا صيامَ صحيحًا أو كاملاً، فيكون حُكم الصوم هو المنفيَّ لا نفسه، والحُكم غير منطوق به، لكن لا بد منه لتحقُّق صِدق الكلام.[52]

ومثاله أيضًا :حديث رفع الفعل الواقع خطأً أو نسيانًا أو إكراهًا في قول الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن اللهَ تجاوَزَ عن أمتي الخطأَ والنسيانَ وما استُكرِهوا عليه))[7]، والفعل بعد حدوثِه لا يمكن رفعُه؛ لهذا يجب تقديرُ محذوف يتوقَّفُ عليه صِدْق الكلام، وهذا المحذوفُ هو حُكم أو إثم، وهو المقصود بالرفع في الحديث الشريف، وهذا التقديرُ يكون عن طريق دلالة الاقتضاء، فيكون معنى الحديث: إن اللهَ تجاوز عن أمتي إثمَ الفعل الواقع خطأً أو نسيانًا أو تحت الإكراه.

الثاني :المقتضى الذي يجب تقديرُه لصحة الكلام عقلاً، ومثاله قوله تعالى :﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]؛ أي: أهلَها؛ إذ القريةُ هي الأبنية المجتمِعة، لا يصح سؤالُها عقلاً، فلا بد من تقديرِ لفظ "أهلها"؛ ليصحَّ الكلامُ من جهة العقل، فيُصبِح التقدير: واسأل أهل القرية التي كنا فيها.[53]

الثالث :المقتضى الذي يجب تقديرُه لصحةِ الكلام شرعًا؛ كالأمر بتحريرِ رقبةٍ مملوكة للقائم بالفعل في قوله تعالى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [النساء: 92]، فهذا الأمرُ مقتضٍ للمِلْك؛ لأن تحرير الحرّ لا يتصور، وكذلك تحرير مِلك الغير عن نفسه، فمِلْك الرقبة ثابتٌ بالنص اقتضاءً، فصار التقديرُ (فتحرير رقبة مملوكة).[54]

---

[51]أخرجه أبو داود في كتاب الصوم

[52] -المستصفى (2/172)

[53] -أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق.

[54] -حاشية العطار على جمع الجوامع(1/316).

•وتتطابَقُ نظرةُ الجمهور مع رؤية متقدِّمي الحنفية حول دلالة الاقتضاء؛ لأن الفريقينِ متَّفقانِ حولها من حيث الاصطلاح، ومن حيث الأقسام، وفي هذا يقول صاحب كشف الأسرار: (اعلم أن عامةَ الأصوليين من أصحابِنا المتقدمين وأصحاب الشافعي وغيرهم، جعَلوا المحذوفَ من باب المقتضي ولم يفصِلوا بينهما).[55]

•ورغم هذا التطابق بين المدرستين نجدُ الجمهورَ يُدرِجون دلالة الاقتضاء ضمن دلالات المنطوق غير الصريح، الذي يضم كذلك دلالة الإيماء والإشارة، أما عند الأحناف، فدلالةُ الاقتضاء عندهم قائمةٌ بنفسها.

وعلى القول باتفاقِ المدرستين حول أقسام دلالة الاقتضاء، فإنه يجبُ التنبيهُ إلى أن (متأخري الحنفية قد ميَّزوا بين ما أضمر لصحة الكلام شرعًا، فاعتبَروه من بابِ دلالة الاقتضاء، وبين ما أضمر لصِدْق الكلام أو صحَّتِه العقلية، فاعتبَروه من باب المضمر والمحذوف)[56]؛ ولهذا عرَّف متأخِّرو الحنفية دلالةَ الاقتضاء بقولهم: (ما أضمر لصحَّةِ الكلام شرعًا) .

---

[55]- تفسير النصوص(1/0)

[56] -الخطاب الشرعي ص 230،و منهاج الأصوليين ص(87).

المحاضرة الحادية عشر : البلاغة الجديدة (برلمان و تيتكا):

في تعريف الحجاج فإننا نركز على معنى جامع لما قيل عند بيرلمان[57] وغيره و في المعاجم العربية القديمة و الحديثة هو ذلك الخطاب المنطوق الموجه إلى متلق متعدد أو معين " لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[58] أو الإذعان لها .

ومن هنا فإن المقتضيات السياقية التي يعتمدها المرسل في الإقناع تجعل من الحجاج "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة علمية إنشاءًا موجها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي، لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[59] .

هذه الثنائية التي تميز الحجاج جعلته أكثر حضورا في العملية التواصلية مما ساعد المرسِل على إيصال أفكاره إلى المتلقي، و تجعله يذعن إلى ما طرح عليه من رسائل و أفكار ،و ذلك لأن الحجاج " عملية استدلال عقلي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وتعتبر أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"60.

إن لغة الخطاب الحجاجي ،بما تتسم به من خصائص منطقية ، تتعالق مع ما يدعى بالمنطق الطبيعي (Logique naturelle) الذي ليس سوى "نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا / متكلما في سياق ما من اقتراح تمثيلاته على متكلَّمٍ له بواسطة الخطاب "[61].

مسلمات الحجاج: إن من أهم مسلمات الحجاج "لكن البلاغة الجديدة وعلى خلاف البلاغة الكلاسيكية، هي حقل يُعنى بدراسة الخطاب الموجه نحو المخاطَب/المتلقي/الجمهور بمختلف أشكاله المتعددة، سواء كان حشدا

---

[57] -http://hekmah.org/ نحو-نظرية-فلسفية-في-الحجاج-شاييم-بيرلم /

[58] -طه عبد الرحمن ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ،ط 1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب، 1998 ،ص 226.

[59] - د.طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، البيضاء ، المغرب، [ط.3] ، 2007م ، ص.65.

[60] - شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة , ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،كلية الآداب ، منونة،د.ت، ص 59.

[61] - من المنطق إلى الحجاج ، حوار أجراه مع د.أبو بكر العزاوي حافيظ اسماعيلي علوي ، فكر ونقد، [ع.61] ن السنة السابعة ، سبتمبر 2004م ، ص.37.

متجمِعا في ساحة عامة، أو في اجتماع لمختصين، أو كان خطابا موجها نحو فرد واحد أو نحو البشرية جمعاء؛ انه حقل يفحص حتى الحجج التي نوجهها إلى ذاتنا خلال حوار خاص بيننا وبين أنفسنا"[62].

" والنص حجاجي من وجهة نظر البلاغة الجديدة حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصدا تأثيريا، مضمرا أو معلنا، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب، أو حمله على مزيد من موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي"[63].

يتحدد اختيار الحجج بعنصرين اثنين هما:

أولا: المسلمات التي نمتلكها، لأننا لا نستطيع أن نقنع بشكل فعال إلا إذا استندنا إلى ما يقبله المستمع.

ثانيا: المقام، لأننا لا نستطيع التأثير في الآخر وتغيير أحوال الأشياء إلا باستعمال حجج تتعارض مع حجج الخصم.

* التقنيات الحجاجية "إن موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية لإثارة أو زيادة الالتزام من العقول إلى الأطروحات المقدمة إلى اعتمادهم "[64]

لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا ، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع. وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسين هما: القصد والمقام. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي؛ حيث يساعدنا على" اكتساب خبرة منهاجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية ، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين. وعلى الرغم من مميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والمجادلات الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية . بينما يتبنى التصور التقني للحجاج تقسيما آخر تصير بمقتضاه كل الخطابات

---

[62] -- Chaïm Perelman : Rhétorique et philosophie, avec Lucie Olbrechts-Tyteca, Paris, Presses Universitaires de France, 1952.

[63] -- Michel Meyer : Qu'est-ce que l'argumentation?, Paris, Librairie Philosophique Vrin, 2005.

[64] - "L'objet de la théorie de l'argumentation est l'étude des techniques discursives permettant de provoquer ou d'accroître l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment" (Perelman et Olbrechts-Tyteca 1970).

المختلفة التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابات حجاجية بدرجات مختلفة "[65].

والغرض من الحجاج –كما هو معروف– هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب. بيد أن بيرلمان يدافع عن الاقتناع بدل الإقناع الأرسطي؛ إذ تستوجب المجتمعات الديمقراطية المعاصرة الحرية والاقتناع بدل الإقناع الجبري. وبالتالي، فهناك انتقال من الإقناع مع أرسطو إلى الاقتناع مع بيرلمان.وهناك أيضا انتقال من المتكلم (الإقناع) إلى المخاطب (الاقتناع).

حجاج البلاغة

أصبحت البلاغة ،بعد انتقالها من لغة موضوع إلى لغة واصفة،"تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب و الأسلوبية و القراءة[66]"

"لتحتل المقام الأولل و لتأخذ مكطانها بين العلوم القديمة ،و ربما كانت هي التي تستحق أن تسترد وصف العلمية"[67]

البلاغة "ليست محصورة في البعد الجمالي بشكل صارم ،بل تنزع إلى أن تصبح علما واسعا للمجتمع"[68]

و من هنا تعددت وظائفها و مساهماتها[69]

"أن البلاغة هي الأفق المنشود و الملتقى الضروري للتداولية و علم النص و السيميولوجيا ، و هي النموذج المؤمّل عليه للعمل الإنساني في إطاره الشامل الجديد"[70]

"لذا نخطئ حين نعتبر البلاغة دراسة لجماليات اللغة فحسب،لأنها،فضلا عن هذا،هي فلسفة تفكير و ثقافة للمجتمع و اسلوبية للحوار ،و هذا سر اكتسابها تلك الطبيغة المزدوجة التي تجمع الآليتين الحجاجية و التفكيرية التأويلية على مستوى الملفوظ و المكتوب،إذ لم تعد تحليل النصوص فحسب،بل انتاجها أيضا"[71].

"و على الرغم من التنوع في الوظائف و المشاغل البلاغية ،إلا إن المظهر الحجاجي(l'aspect argumentetif) يظل من ابرز خصائص الفكر البلاغي عبر مراحله القديمة و الوسيطة و الحديثة، وبالأخص المعاصرة[72]

---

[65] -- Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, Presses Universitaires de France, Paris, 1958.

[66] –رولان بارت قراءة جديدة البلاغة القديمة ترجمة عمر أوكان المغرب إفريقيا الشرق ط1 1994مص7-8.

[67] –صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص،سلسلة عالم المعرفة،الكويت ، العدد 164،سنة 1992،ص179.

[68] –هنريش بليت، البلاغة و الأسلوبية،ترجمة و تقديم محمد العمري ، المغرب ،إفريقيا الشرق ،1999م،ص92.

[69] – صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص،ص250.

[70] – صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص،ص251.

[71] –د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،بحث في بلاغة النقد المعاصر،دار الكتاب الجديد المتحدة،ط1، 2008م،ص09.

"فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة و رجوع وظيفة الإقناع و التأثير في صيغة لم تعرفها من قبل ،و أصبح الخطاب يعتمد في إنجاز تلك الوظيفة ،و إحداث التأثير ،و أساليب متنوعة ، منها ما يقوم على بلاغة الصورة ، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير ،لا بمنطوقه ،إنما بمفهومه و مُتضمنه،كما قوَّت المناقشة القائمة بين المستفيدين من استهلاك الاليات المرصودة لذلك،و أصبحت البلاغة قادرة ،لا فقط على التأثير و تحويل القول و الصورة فعلا و ممارسة،و إنما أصبحت متحكمة في أذواق الناس ،تساعد على صياغتها و إعطائها الوجهة التي تهيئها لقبول ما يُقترح عليها"[73]

"حيث يتم تمرير الأفكار و التصورات و الأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي،و الغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه و إحلال ما نريد نحن مكانه،بتحريك الإعجاب، بما نعرض عليه،أو نخلاق الصدمة أو الفتنة إو الإقناع"[74]

"بلاغة الحجاج حاضرة في الأدب و الفن ،مثلما هي حاضرة في علم النفس والاجتماع و القانون و التجارة و الاقتصاد و السياسة و الإعلام بكل فروعه...إلخ،لأنها بلاغة تُوَظف في إحكام كل ما تصل إليه يدها الطويلة من علوم ومعارف"[75]

يقول بيرلمان:" نتكلم بقصد دفع المخاطب إلى القيام بمناورات أو تمثلات مختلفة متعلقة بموضوع معين لكسب أو مضاعفة تعاطف المستمع بشأن الأطروحات المقترحة للحصول على موافقته[76]. "

"و على الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ،حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه و حتى تجده لا تبتغي به بدلا،و لا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه و أعلاه،و أحقه بالحسن و أولاه: ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه،أو ما هو لحسن ملاءمته ،و إن كان مطلوبا،بهذه المنزلة و في هذه الصورة "[77].

"إن كان مدحًا كان أبهى وأفخم ، وأنبل في النفوس وأعظم ، وأهزّ للعطف ،وأسرع للإلف ، وأجلب للفرح ، وأغلب على الممتدح ، وأوجب شفاعة للمادح ،وأقضى له بغُرّ المواهب والمنائح ، وأَسْيَر على الألسن وأذكر ،

---

[72] – د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص11.

[73] –حمادي صمود،تجليات الخطاب البلاغي ،تونس:دار قرطاج للنشؤ،ط1، 1999م،ض133-135.

[74] – حمادي صمود،تجليات الخطاب البلاغي،ص 134.

[75] – د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة المعاصرة،ص12.

[76] -Chaïm Perelman : Droit, morale et philosophie, Paris, Librairie Générale de Droit et de Jurisprudence, 1968.

[77] –عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،تحقيق السيد محمد رشيد رضا،دار المعلرفة،بيروت–لبنان،ط1، 2002م، ص 18.

وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر"[78].

"وإن كان ذمًّا كان مسُّهُ أوجع ، وميسه ألذع ، ووقعه أشد ، وحدُّه أحدّ ،وإن حجاجًا كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر وإن كان افتخارًا كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألدّ وإن كان اعتذارًا كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسلّ ،ولغرب الغضب أفل ، وفي عقد العقود أنفث ، وعلى حسن الرجوع أبعث" [79].

"وإن كان وعظًا كان أشفى للصدر ، وأدعى إلى الفكر ، وأبلغ في التنبيه والزجر ، وأجدر بأن يجلّي الغياية ، ويبصّر الغاية ، ويبرئ العليل ، ويشفي الغليل "[80].

"لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواص[81]"

" البيان والحجاج" كوسيلة أساسية من وسائل الإقناع، ولعل في اختلاف مستويات التلقي ما يؤكد هذه الصفة الحجاجية للخطاب البلاغي، وذلك يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، على اعتبار أن هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة التأثير من خلال قوتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء وترابط العلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها"[82]

ن:"ليس الحجاج علما/فنا يوازي البلاغة:بل هو ترسانة من الأساليب والأصوات يتم افتراضها من

البلاغة(ومن غيرها،كالمنطق واللغة العادية...) ولذلك فمن اليسير اندماج الحجاج مع البلاغة في

كثير من الأساليب"[83]

وعن علاقة "البلاغة" بالحجاج نجد أن البلاغة الجديدة* تعرف بأنها نظرية الحجاج"التي تهدف إلى التقنيات الخطابية ،وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج ،كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ،ثم يتطور كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور"[84]

1-:أنواع الحجج :

---

[78] -عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،ص 97.

[79] --عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،98.

[80] --عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة في علم البيان،99.

[81] -الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عبد النبي ذاكر، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، العدد 02، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2011، ص: 07، وينظر كذلك: حوار حول الحجاج، أبو بكر العزاوي، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص: 108

[82] -إشكالات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير،:مقاربة تداولية معرفية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000، ص69.

[83] -صابر الحباشة،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص ،صفحات للدراسات والنشر ،الطبعة الأولى، 2008 ،ص50.

[84] -صابر الحباشة،التداولية والحجاج،مداخل ونصوص ،صفحات للدراسات والنشر ،الطبعة الأولى، 2008 ،ص 17

يعتمد المتكلم في خطاباته اليومية على الحجة المناسبة ليقنع بها المستمع ، فهي السبيل الوحيد له ليصل إلى مايريده وهو إقناع الطرف الثاني بحجته ،ويجب على هذه الحجج أن تدعم قول المتكلم وتلائمه حتى يستطيع أن يقنع المتلقي ، ولذلك نجد هذه الحجج تنقسم إلى عدة أنواع منها :

1-حجة المثل : "إن الغاية من اعتماد المثل في الحجاج هي التأسيس للقاعدة والبرهنة على صحتها "85 ، ونفهم من هذا أنها تقوم على ذكر أمثال معروفة وشائعة للوصول إلى قاعدة تبرهن وتثبت صحة الحجة .

2-الحجة التاريخية : "وفيها يعتمد المتكلم إلى حدث تاريخي أو ظاهرة ليقنع المتلقي بصحة دعواه وتكون هذه الحجة رابطة للنتيجة "[86] ، إذن هي حجة يقوم فيها المتكلم بإقناع المتلقي بصحة الدعوة التي في ظاهرة أو حدث تاريخي .

3-حجة الاتجاه : " وهدفها تحقيق الغاية من الحجاج ، حيث توجه المستمع على التحذير من القيام بفعل ،أو الترغيب للقيام به ، وهي تخدم أكثر الحجاج إذا تعلقت بالتعليم والدين ،ومجالها تربوي "87 ، ويكون الهدف من هذه الحجة تحقيق الغاية من الحجاج فهي إما تحذر المستمع من القيام بالفعل ، أو ترغبه في ذلك أي أنها توجهه في الاتجاه الصحيح افعل أو لا تفعل ، وتكون هذه الحجة خادمة للحجاج أكثر عندما تتعلق بالدين أو التعليم .

4- الحجة التواجدية : " ويمكن تسميتها بحجة السلطة وتبني على علاقة الشخص بعمله "[88]، وفي هذا النوع يتحول المتكلم نفسه إلى السلطة ، وفيه تكون علاقة الشخص مرتبطة بعمله ولهذا لابد أن يحرص على أن يظهر بمظهر يقبل.

5-حجة التبرير : لا يظهر دور الطالب هنا لانعتمد على النصوص لوحدها" وأداتها "بما أن "وتعتمد على المسلمات اليقينية للحجاج بمقدمات أقل يقينية من المسلمات ، وقد يقتنع بها المستمع وقد لا ينجح في ذلك ، وتعتبر بما أن أداة تبرير تقدم الحقيقة المسلم بها أولا لتصل إلى النتيجة ، وتتحقق أكثر في المجالات الفكرية ".[89]

6-الحجة البرهانية : "تنطلق من الحجة ومن معناها السائر هي إما تمشي ذهني يقصد إثبات قضية أو دحضها ، وإما دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدها ، بهذا المعنى نقابل بين الحجة والبرهان وبين الحجاج والبرهنة ، وفي

---

[85] -قالط بن حجي العنزي ،التداولية في التفكير البلاغي ، دراسة في غرر البلاغة ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ,الأردن ط1 2014 ص 85 .

[86] -نفسه ص 86.

[87] -نفسه ص 86 .

[88] نفسه ص 86 .

[89] -قالط بن حجي العنزي ، التداولية في التفكير البلاغي ,ص86 .

هذه الحالة فحسب يمثل الحجاج خصوصية تستحق دراسة مخصوصة "[90] ، من هنا تبين لنا أن الحجة تكون خادمة للبرهان لإثبات قضية ما أو نفيها

ويكون عمل المحاجج فيها هو البرهنة على صحتها وهي حجة تفيد اليقين وتتألف من مقدمات يقينية تكون نتيجتها يقينية .

7 _الحجة الجدلية : لا بد من مقدمة "تقدم هذه الحجة في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر أو غير المباشر في التقابل في شكل منتج من أشكال القياس الصحيح في الاستقراء "[91] ، وهذه الحجج نجدها بكثرة في قضايا الحق والواجب كالقانون والأخلاق ومجالات التربية وغيرها .

8_ الحجة الخطابية : لا بد من مقدمة "هي الحجة التي لا تلزم الطرف الآخر بالأخذ بها ولكنها تفيده ظنا راجحا مقبولا ،أو هي تعتمد على مقدمات ظنية ، سواء سلم بها المخاطب أو لم يسلم ،وسواء أفادته ظنا راجحا أو لم تفده ، لكنها من وجهة نظر المستدل بها تفيد ظنا راجحا "[92] ، ومعنى هذا أن الطرف الآخر غير مجبر وملزم بالأخذ بهذه بالحجة أي أنه مخير سواء أفادته أم لم تفده ، وهذا النوع من الحجج يصلح التعليمات والمخاطبات ، كما تشمل على الظن الذي لا يبلغ مبلغ اليقين .

مبادئ البلاغة الجديدة عند بيرلمان:

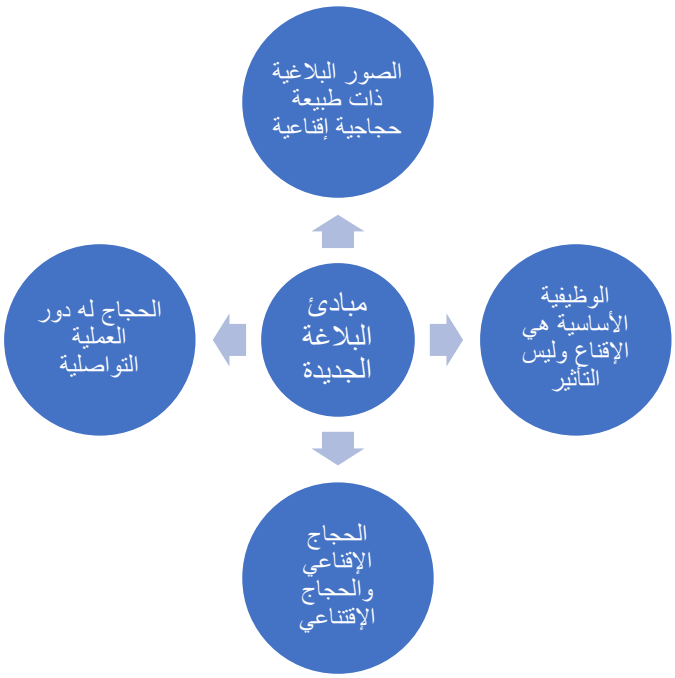

---

[90] -نفسه ص77 .

[91] -دحمان حياة تجليات الحجاج في القرآن الكريم ,سورة يوسف أنموذجا، مذكرة لنيل الماجستير في الأدب العربي ، إشراف الأستاذ الدكتور عز الدين صحراوي 2012م ص111

[92] -نفسه ص 111

اتجاهات البلاغة الجديدة

ببعد اللساني: بلاغة الصور و الخطابات

البعد الأسلوبي: البلاغة أسلوب

البعد الحجاجي: البلاغة حجاج و إقناع

البعد السيميائي: البلاغة في خدمة السيماء

البعد التداولي: بلاغة أفعال الكلام واستلزام حواري.

المحاضرة الثانية عشر :الحجاج التداولي نظرية الحجاج في اللغة عند دكرو:

1. الحجاج اللغوي عند ديكرو:

تعود نظرية الحجاج في اللغة الى كل من ازوالد ديكرو ، وجون انسكومبر اللذان يؤكدان على أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها ، والحديث عن هذه النظرية يستوجب علينا الوقوف عند مؤلفاتهما خاصة " كتاب الحجاج". وتعد هذه النظرية التي وضع اسسها ديكرو منذ 1973 « نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق بعض الاهداف الحجاجية ، ثم أنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مفادها: إننا نتكلم عامة بقصد التأثير » . و يعني انّ هذه النظري أساسها قائم على الأدوات اللغوية للمرسل في إلقاء خطابه قصد التأثير.

كما أنها تبين لنا أنّ « اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية و بعبارة أخرى ، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها » . أي أنّ اللغة تحمل في طياتها بعدا حجاجيا كامنا جوهريا في بنيتها الداخلية للأقوال. وقد وضح كذلك أنّ «الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتتابع و تترابط على نحو دقيق ، فتكون بعضها حججا ، تدعم وتثبت بعضها الآخر ، وأنّ المتكلم يجعل قولا ما حجة لقول آخر» . أي أنّ الحجاج هو تقديم الحجج للإثبات و استنتاج لنتيجة مصرح بها أو غير مصرح بها . ومنه نجد أنّ نظرية الحجاج في اللغة انبثقت من أعماق نظرية الأفعال الكلامية التي وضع أسسها أوستين و سيرل ،حيث قام بتطوير أفكارهما واقترح اضافة فعلين لغويين، فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج.

يرى الباحثان أنّ التداولية ، لا توجد إلّا مدمجة في الدلالة و ذلك أنّ « مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي في الدلالــة لا يكون موضوع البحـث ، و بيان الدلالة التداوليـة المسجلة في أبنيـة اللغـة و توضيح شروط استعمالها الممكن » . بمعنى أن التداولية المدمجة في الدلالة ، تبحث عن الجوانب التداولية داخل بنية اللغة نفسها .فهي« ليست مهمة اللغة الإخبار فقط ، و ليست مرصودة لوصف الأشياء ، و تمثيل الواقع فحسب و لكنها تحقق أعمالا لغوية » أي أن اللغة ذات قوة لتحديد المواقف و توضيح الحالات و المقاصد .

انّ الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية الى نتيجة معينة ، و هو يتمثل « في انجاز تسلسلات إنجازية داخل خطاب » . أي أنّ الحجاج في اللغة هو انتاج متواليات من الأقوال ، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية و بعضها الآخر بمثابة النتائج .كما استطاع ديكرو أن « أن يميز بين الاستدلال و الحجاج لأنهما ينتميان الى نظامين جدّ مختلفين ، نظام ما نسميه عادة بالمنطق ، و نظام الخطاب » . أي أن الأقوال التي يتكون منها الاستدلال مستقلة بعضها عن بعض ، أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال الموجودة في الخطاب.

و عليه نجد أن نظريــة الحجاج « تنهــض على جملــة من المفاهيم تفســر اشتغالها و هي : العلاقــة الحجاجيــة و المواضع الحجاجية و الاتجاه الحجاجي و القوة الحجاجية و السلم الحجاجي . » أي أنّ نظرية الحجاج تقوم على العلاقات و المواضع و الاتجاهات و القوة و السلالم الحجاجية .

أ/ العلاقة الحجاجية :

إن الحجاج في هذه النظرية علاقة دلالية تربط بين الأقوال بحيث « يقوم الاشتغال الحجاجي على تقديم المتكلم لقول معين بغير حجة ، يستهدف حمل المخاطب على القبول بقول آخر، يعد نتيجة سواء كانت صريحة أو ضمنية » [93]. أي أنّ العلاقة الموجودة بين الأقوال (الحجج) و النتائج هي علاقة حجاجية خطابية لا يضبطها الاستلزام المنطقي بل تحكمها المواضع الحجاجية .

ب/ المواضع الحجاجية :

إن المواضع شرط أساسي في الحجاج ، فقد اهتم ديكرو بها كثيرا فلا تخلو أية عملية حجاجية منه كونه يحقق الانسجام بين طرفي الحوار لتبرير وضعية ما أو موقف أو فعل .« و هو الأمر الذي يعني أن كل علاقة حجاجية تتطلب وجود موضــع بين الحجـــة و النتيجة أي مسارا مبررا يعتمد في الانتقال الحجاجي » [94]. أي أن العلاقة الحجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة و النتيجة. و أن « المواضع طابع تدرجي ، اذ لها اشكال تتحدد بأقل أو أكثر ضمن منطقة حجاجية محددة » [95]. هنا قد حدد ديكرو مفهوم المواضع من خلال أشكالها بين أكثر و رمزه (+) و أقل رمزه (−) و اختيار المواضع يعني اختيار اتجاه حجاجي معين .

ج/ الاتجاه الحجاجي :

اذا كــان الحجــاج يقتضي تسلسلات خطابية معينة و أشكــال من التتابع تأدي الى استنتاجات ، فإنّ الاتجاه الحجاجي « يعني اسناد اتجاه معين لقول ما بغاية بلوغ نتائج محددة ، و لا يخفى أن هذا التوجيه الذي يوسع أو يضيق الاحتمالات الحجاجية ليقودها في اتجاه معين تحدده البنية اللغوية للخطاب » [96]. يقصد أن الاتجاه الحجاجي يفرز مجموعة من الاحتمالات تحددها البنية اللغوية للخطاب أو السياق . و الاتجاه الحجاجي يتضمن قرائن حجاجية و هي نوعان : العوامل الحجاجية و الروابط الحجاجية .

---

[93] ينظر ، عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص98.
[94] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص99.
[95] شكري مبخوث ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص380.
[96] المرجع السابق ،ص99.

1- العوامل الحجاجية :

تتمثل في « عناصر لغوية اسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر ،النفي ، الشرط ... وظيفتها حصر الامكانات الحجاجية لمحتوى الملفوظات و تحويلها » [97].يقصد بالعناصر اللغوية الاسنادية: الحصر ، النفي ، الاستثناء (الواو ، الفاء، لكن ، اذن ...)، و النحوية : حروف التعليل ، و المعجمية حروف الاستئناف(بعض ،كل ، جميع ...)، كل هذه العناصر لها دور فعال في تحقيق الوظيفة الحجاجية .

2- الروابط الحجاجية :

تتمثل في كونها « مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر داخلين في استراتجيةحجاجية واحدة ،بحيث تسمح بالربط بيـــن المتغيرات الحجاجيـــة و هي صنفان : روابط مدرجة للحجـــج مثل (لأنّ ، لكن) ، و روابـــط مدرجـة للنتائـــج مثل (إذن ،أخيرا ...) » [98] . تتمركز هذه الروابط في الربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر و قد يربط بين عناصر غير متجانسة .

د – القوة الحجاجية :

إنّ الحجج المنتمبة للقسم الحجاجي «تتفاوت لأنها ترتبط فيم بينها بعلاقة تراتب، ففيها حجج قوية وحجج ضعيفة » [99]. بمعنى أنه في القسم الحجاجي نجد التدرج في الحجج ، منها القوية ومنها الضعيفة . ومن هنا قام ديكرو الى تمثيل هذه العلاقة ضمن ما سماه بالسلم الحجاجي .

هـ- السلم الحجاجي :

يقول ديكرو: « إنّ أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية للحجج نسميه سلما حجاجيا » [100]. بمعنى أن هذه الحجج قد تكون متفاوتة في درجة قوتها فتشكل لنا السلالم الحجاجية .حيث تنطلق نظرية السلالم الحجاجية عند شكري مبخوت من « إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول (الحجة) (ق) ونتيجة (ن) ومعنى التلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم، الا بإضافتها الى النتيجة مع الإشارة الى أنّ النتيجة قد يصرح بها و قد تبقى ضمنية » [101]. بمعنى ان الحجة مرتبطة بالنتيجة سواء كانت مصرح بها أو ضمنية .

---

97 عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص100.
98 المرجع نفسه ، ص100.
99 المرجع نفسه ، ص101.
100 المرجع نفسه ، ص101.
101 شكري مبخوث ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص363.

ويمكن أن نرمز للسلم الحجاجي كالأتي : «د

ج

ب

ن= النتيجة

ب، ج ، د حجج و أدلة تخدم النتيجة "ن" » [102]

فالسلم الحجاجي هو « فئة حجاجية موجهة و يتسم السلم الحجاجي بالسمتين الاتيتين » [103].

- كل قول يرد في درجة ما ، من السلم يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة الى (ن) .
- إذا كان القول (ب) يؤدي الى نتيجة (ن) فهذا يستلزم أنّ (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة ، يؤدي اليها والعكس غير صحيح .

حدّد طه عبد الرحمن السلم الحجاجي انطلاقا من إسهامات ديكرو السلم الحجاجي بكونه « مجموعة غير فارغة من الأقوال ، مزودة بعلاقة ترتيبية » [104] .أي أنّ السلم الحجاجي عدد من الحجج و الاقوال ، تترتب من الحجة الضعيفة الى الحجة القوية .

وعليه فإنّ نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو و انسكومبر ، تحصر الحجاج داخل اللغة فقط من طرف المخاطب بواسطة الحجج المستعملة داخل ابنية الخطاب بشكل صريح أو ضمني.

---

[102] أبو بكر العزاوي ، الحجاج في اللغة ، ص59

[103] المرجع نفسه ، ص60.

[104] عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص101.

المحاضرة الثالثة عشر:السلالم الحجاجية و قوانين الحجاج:

نظرية السلالم الحجاجية:

تنطلق نظرية السلالم الحجاجية عند شكري المبخوت "من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الحجة(ق) ونتيجة (ن) ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لاتكون حجة بالنسبة للمتكلم ،إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها و قد تبقى ضمنية"[105]

الحجج تبنى و فق سلم ينطلق من الحجة الأضعف إلى الأقوى

قد تكون صريحة أو ضمنية

قسم حجاجي = ق+ق' ⟵ ن

يقول ديكرو في ذلك :"تكون جملة (ق') أقوى من (ق) إذا كان كل قسم حجاجي يتضمن (ق) متضمنا أيضا (ق')، وإذا كان (ق)"[106]

وإذا لم يتوفر هذا الشرط هناك شرط أخر" يكفي أن (ق') يؤدي إلى نتيجة (ن') أقوى من(ن)"[107]

الموضع: شرط أساسي في الحجاج "يمثل الموضع مبدأ حجاجيا عاما من المبادئ التي يستعملها المتخاطبون ضمنيا للحمل على قبول النتيجة ما ، فالموضع فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع ،و عليها يرتكز الاستدلال في اللغة"[108]

وفي تحديد ديكرو لمفهوم المواضع يمكن أن نستنتج ما يلي :

1. أن العلاقة الحجاجية تتطلب وجود موضع بين الحجة و النتيجة,
2. أن للمواضع اشكالا تتحدد ب"أكثر" و "أقل" ضمن منطقة قوة محددة.
3. أن أضكال المواضع من خلال التأليف بين أكثر و(و رمزه+) زأقل (ورمز−) ألربعة هي : (+،+) (−،−)و (+،−)و(−،+)[109]

---

[105] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص363.

[106] -Oswald Ducrot,1980,Les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, PARIS ,P 20 .

[107] – Oswald Ducrot, 1980, Les échelles argumentatives, Les éditions de minuit, PARIS, P 26.

[108] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص380.

[109] – شكري المبخوت ،الحجاج في اللغة ،ص380.

* الحجاج والتخييل: »» لا تفكر النفس بدون صور« "[110] "كل ما تعقله النفس مشوب بتخيل«"[111] الشعر خطاب مسلم بأن المتلقي يقبل الرسالة فالغرض هو التاثير مباشرة "و من غير أن يكون الغرض بالمقول إيقاع اعتقاد البتة "[112] " بينما الخطابة تستهدف الإقناع بما هو « تصديق بالشيء مع اعتقاد أنه يمكن أن يكون له عناد وخلاف. "[113]

أن« العمل المترتب على الحجاج ليس متوسلا إليه بالمغالطة والتلاعب بالأهواء والمناورة, وإنما هو عمل هيأ له العقل والتدبر والنظر."[114] —

ويبدو أن عبد القاهر الجرجاني كان مفتونا إلى حد بعيد بجمالية هذا الضرب من التخاييل وقوتها الحجاجية، ولذلك فهو لم يقتصر على بيان خصائصها الفنية والأدبية، بل حاول كشف سرها الإبداعي الثاوي خلف أسلوبها التخييلي، والوصول إلى منطقها الجمالي المحرك لانتظامها الإيحائي فعمد إلى قصيدة طويلة لابن الرومي، فحللها وأبرز الطريقة الجمالية التي تترتب بها مكوناتها الخيالية، وتتضافر بها مع البناء الكلي للنص الشعري لتشكل عالما فنيا جديدا وبديعا، يقول مطلع القصيدة"[115]:

خجلت خدود الورج من تفضيله.....خجلا توردها عليه شاهد[116]

وقال معلقا عليها ومحللا لها:

«وترتيب الصنعة في هذه القطعة، أنه عمل أولا على قلب طرفي التشبيه(...) فشبه حمرة الورد بحمرة الخجل، ثم تناسى ذلك وخدع عنه نفسه، وحملها على أن تعتقد أنه خجل على الحقيقة، ثم لما اطمأن ذلك في قلبه واستحكمت صورته، طلب لذلك الخجل علة، فجعل علته أن فضل على النرجس، ووضع في منزلة ليس يرى نفسه أهلا لها، فصار يتشور من ذلك، ويتخوف عيب العائب، وغميزة المستهزئ. ويجد ما يجد من مدح مدحة يظهر الكذب فيها ويفرط، حتى تصير كالهزء بمن قصد بها. ثم زادته الفطنة الثاقبة والطبع المثمر في سحر البيان،

---

[110] – أرسطو : في النفس، تر: إسحق بن حنين، مرا: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1954،ص75.

[111] – ابن سينا: التعليقات، تح: د. عبد الرحمن بدوي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973،ص 109.

[112] – ابن سينا :المجموع أو الحكمة العروضية في معاني كتاب الشعر، تح: د. محمد سليم سالم، دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة، 1969 , ص 15.

[113] – ابن سينا: المجموع أو الحكمة العروضية في معاني كتاب ريطوريقا, تح: د.محمد سليم سالم،مكتبة النهضة المصرية،ط1، 1950، ص 15.

[114] - R.AMOSSY :L'argumentation dans le discours, éd NATHAN, Paris, 2000 , P62.

[115] – http://youssefelidrissi.blogspot.com/2015/04/blog-post_83.html

[116] – ابن الرومي: الديوان، تح: د. حسين نصار، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د.ت،.2/643

ما رأيت من وضع حجاج في شأن النرجس، وجهة استحقاقه الفضل على الورد، فجاء بحسن وإحسان لا تكاد تجد مثله إلا له»"[117]

أن كل مستويات التفكير البشري ومختلف العلوم والنظريات « لا تتخلص أبدا من الهالة التخييلية بالكامل. كما أن كل عقلانية وكل نظام منطقي يحملان في ذاتهما أوهامهما الخاصة"[118]

وقد مثل عبد القاهر لهذا الضرب بشواهد كثيرة "[119] وأداه تحليله لها إلى ملاحظة أن أسلوبها التخييلي يقوم على الخطوات الثلاث التي تميز السلم الحجاجي, والتي تصوغ مقولاته في علاقة تراتبية"[120]، وهي: أ- ادعاء المشابهة، ب- إيجاد العلة، ج- إقامة الدليل، وتتشكل هذه الخطوات الحجاجية في الأسلوب التخييلي بالترتيب العمودي الآتي:

إقامة الدليل

إيجاد العلة

ادعاء المشابهة

ويستنتج ذلك الأمر من تعليقه على بعض الأبيات الشعرية حيث يقول[121]: «كل واحد من هؤلاء قد خدع نفسه عن التشبيه وغالطها، وأوهم أن الذي جرى العرف بأن يؤخذ منه الشبه قد حضر وحصل بحضرتهم

---

[117] – عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، مذكور ، ص 285.

[118]- G.DURAND : Les structures Anthropologique de l'IMAGINAIRE, éd DUNOD, Paris, 11éme éd,1992, p 64-65.

[119] – أنظر تلك الشواهد بالمصدر نفسه، ص 286-295.

[120] – تجدر الإشارة إلى أننا نستثمر هنا الخطاطة التي قدمها أبو بكر العزاوي في مقاله "نحو مقاربة، حجاجية للاستعارة"، ص 79 .ضمن مجلة المناظرة، الرباط، س 2، ع 4، 1991.

[121] – أنظر تلك الأبيات لدى عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، مذكور،ص 289-290.

على الحقيقة، ولم يقتصر على دعوى حصوله حتى نصب له علة، وأقام عليه شاهدا (...)»[122].

تأسيسا على ما سلف , يتبين أن الخطاب الشعري لا يخلو من حجاج يقوم على التخييل المرتبط بوجدان الإنسان وانفعالاته, مثله في ذلك مثل الخطابات الأخرى الأكثر عقلانية, وإن كان بدرجات متفاوتة حسب طبيعة كل خطاب ومقاصده, ذلك أن لا حجاج بدون تخييل ولا تخييل بدون حجاج فالنفس البشرية لا تفكر ولا تقتنع في منأى عن التخييل، وعليه يحق لنا القول تبعا لقول أرسطو لا تفكر النفس ولا تقتنع بدون صور أيضا.

* الحجاج والمغالطة:

دراسات الحجاج في الخطاب تتمحور حول أمرين اثنين :بلاغة الحجاج في تصوير وجهة نظر محددة و منطقية الخطاب الحجاجي التي تنظم بنية الخطاب و انطلاقا من زاوية بلاغة الحجاج فإنه تدفع المتلقي إلى الاقتناع بفكرة معينة أو تجعله يؤيد المتلقي في قناعاته و أما من حيث الزاوية الثانية فإن الحجاج يبنى وفق طريقة منطقية و هذه تستدعي وجود ثلاث عمليات و هي :القبول و الحكم و المنطق

تمارين:

- عرف التداولية
- فرق بين التداولية والدلالة؟
- استعرض بإيجاز قوانين الحوار كما جاءت عند بول غرايس
- ما درجات التدالولية؟
- اكتب تقريرا من صفحة واحدة تبين فيه الأسس التي يقوم عليها التداول عامة
- ما معنى أن يكون للملفوظ قوة إنجازية؟
- ما معنى الحجاج، مثل لذلك؟

[122] – المصدر نفسه، ص 290.

- ما الفرق بين نظرية الحجاج والأفعال الكلامية؟
- ما رأيك في نظرية التلفظ، علق كتابة؟
- هل لديك انتقادات توجهها لإحدى النظريات التداولية ؟ اكتبها في سطور

المصطلحات الواردة في المحاضرات

الفعل الكلامي	Acte de parole
الفعل اللغوي	Acte de langage
الفعل التقريري	Acte constatif
الفعل الإنشائي	Acte performatif
الفعل التأثيري	Acte perllocutif
الملكة	Compétence
الملكة التبليغية	Compétence de communication
المحتوى الإسنادي	Contenu propositionnel
السياق	Contexte
صناعة التعليم	Didactique
الخطاب	Discours
التراتبية	Hiérarchisation
التفاعل	Interaction
المؤول	Interprétan/ interpréte
التنغيم	Intonation
ألعاب اللغة	Jeux de langage
لغة/ لسان	Langue
البنية الكبرى	Macro-structure

Micro-structure	البنية الصغرى
Mimique	الإيماء
Paradigmatique	المحور الاستبدالي
Parole	الكلام
Performance	التأدية
Pragmatique (Ling.)	اللسانيات التداولية
Pragmatisme	الذرائعية

Présupposition	الافتراض المسبق
Representem	الوحدة الممثلة
Sémantique	علم الدلا؛لة
Sémiotique	السيميائيات
Sens	المعنى المحصل
Signe	الدليل
Signification	المعنى المقدر
Situation	المقام
Sociolinguistique	اللسانيات الاجتماعية
Structuralisme	البنوية / البنيوية
Structure	البنية
Structural	بنوي/ بنيوي

القياس (الأرسطي)	Syllogisme
المحور التركيبي	Syntagmatique (axe)
علم التراكيب	Syntaxe

المراجع و المصادره

باللغة العربية:

- مجموعة مؤلفين: المعرفة العلمية، إعداد وترجمة: محمد سيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، 1992

- رومان ياكبسون: قضايا الشعرية، ت. محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر 1988

- ستيفن بنكر: الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة، ت. حمزة قبلان المزيني، دار المريخ، الرياض 2000

- محمد هشام: في النظرية الفلسفية للمعرفة: أفلاطون، ديكارت، كانت، إفريقيا الشرق، 2001 ، الدار البيضاء.

- ديفيد وورد: الوجود والزمان والسرد: فلسفة بول ريكور، ت. سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، 1999

- ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ت. سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، 1987

- أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ت. سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، 2000

- عبدالله الغذامي: الخطيئة والتكفيرن نادي جدة الأدبي، 1985

- محمد خير البقاعي: تلقي "رولان بارت" في الخطاب العربي النقدي واللساني والترجمي، كتاب لذة النص نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، الكويت.

- جمال الدين بن الشيخ: في الشعرية العربية، ت. امحمد أوراغ ومبارك حنون،إفريقيا الشرق 1998 ، الدار البيضاء.

- جان سيرفوني: الملفوظية، ت. قاسم المقداد، اتداد الكتاب العرب، 1998

باللغات الأجنبية

Austin J.L.: How to do things with words, University Press, Oxford, 1962 -

Searle J.R.: Speech Acts, Cambridge University Press, Cambridge,

Mass, 1969 -

Grice H.P. 1957…. Meaning, The Philosophical Review, pp. 381. -

- Austin.: *Quand dire c`est faire*, Seuil, 1980

La pragmatique: histoire et critique, Pierre Mardaga, - Latraverse F éditeur 1987, Bruxelles

- Ducrot, O.: *L`argumentation*, Seuil, 1979

- Recanatti, F.: *Pragmatique*, Seuil, 1985

- Grice, H.P.: *Logic and communication*, ed. Morgan, New York, 1975

- Gross, M.: *On the faillure of Generative Grammar*, languge, 55,4, 859-896

- Chomsky, N.: *A minimalist program for linguistic theory*, MIT, 1992

- Pollock, J.I.: *Langage et cognition: introduction au programme minimaliste de la grammaire generative*, Paris, 1997

- Searle, J.R.: *Les actes du langage*, Seuil, 1985

- Jacques F. & Denhiere G.: *Cognition et langage*, Revue langage, n: 100, 19